قصص نبوية
بأسلوب تربوي جديد
الجزء الخامس

د. شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

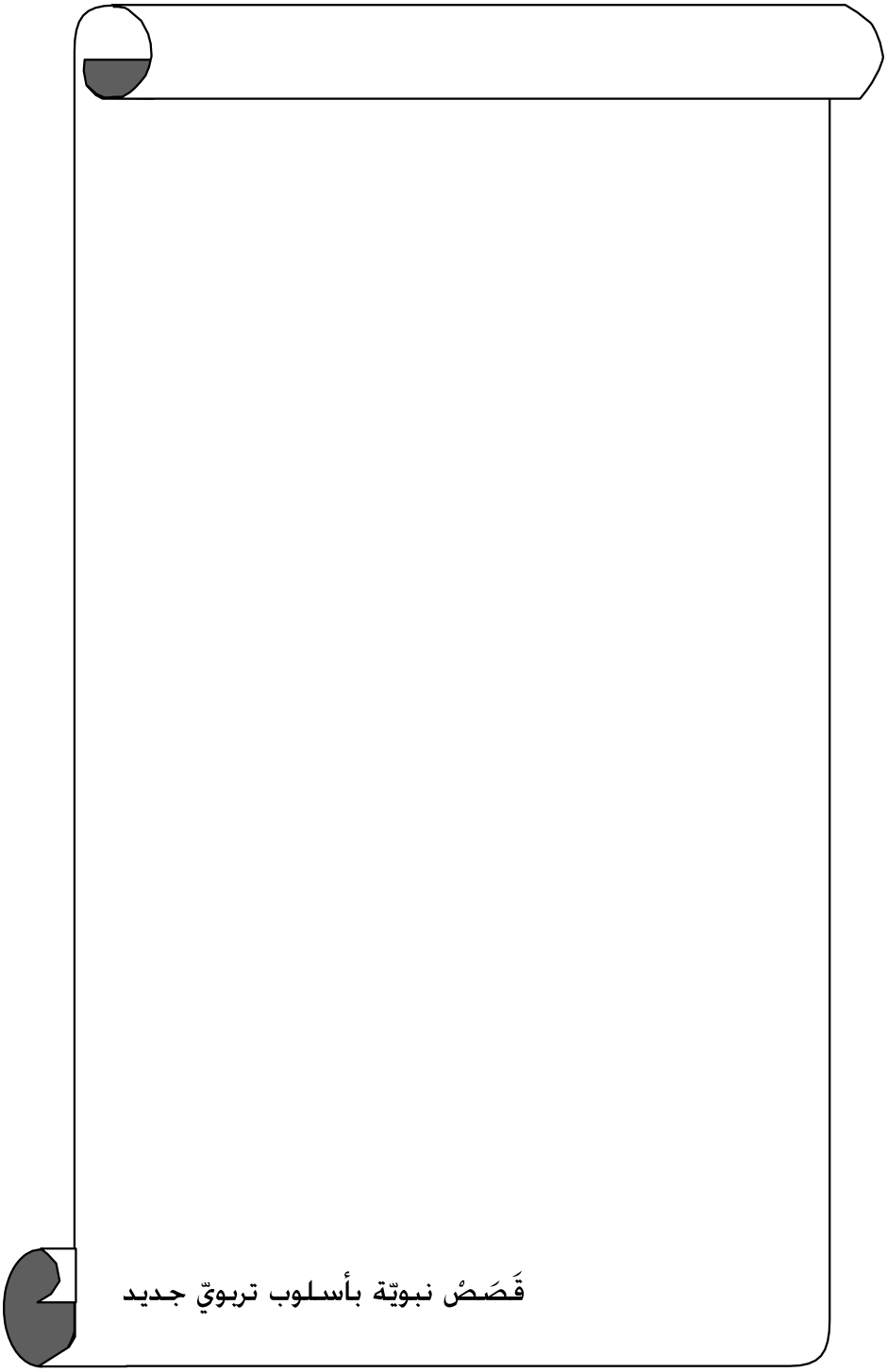
قَصَصٌ نبويّة بأسلوب تربويّ جديد

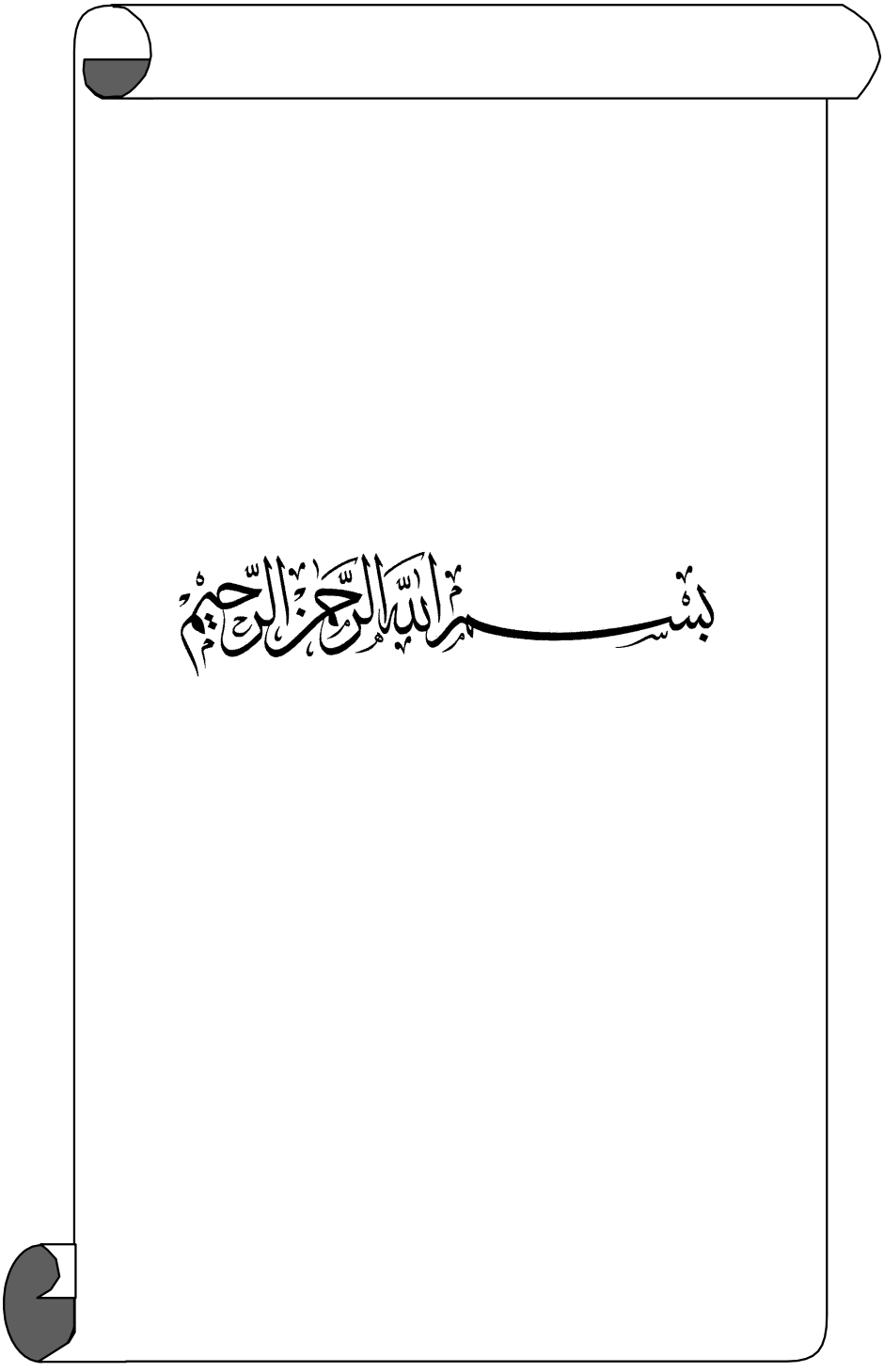
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلسلة قَصَصْ الأنبياء (الجزء الخامس)

قَصَصْ نبويَّة
بأسلوب تربويّ جديد

الجزء الخامس

إعداد وتحقيق وتدقيق
الدكتورة شيرين لبيب خورشيد

مراجعة لغوية
أ. هيام كامل عيتاني خشّوف
أ. نوال محمّد نبعة
أ. فاطمة سعيد الشبعان

مراجعة شرعيّة
دكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

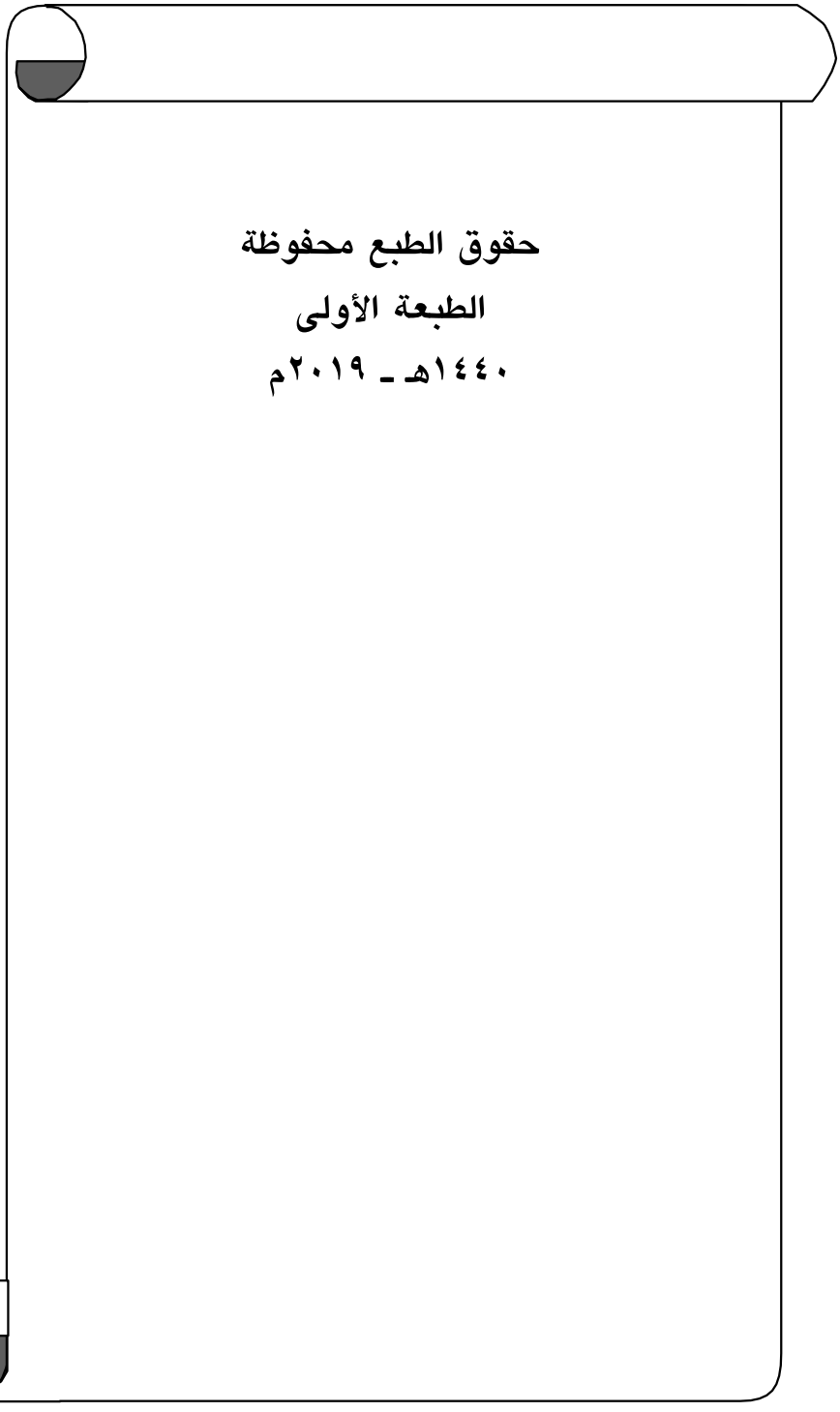

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

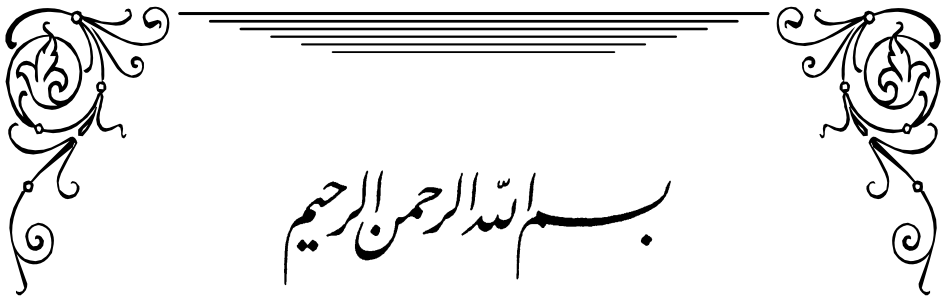

الحمد لله الّذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، وشرّع لنا من الدّين ما يرضاه، وبيّن لنا الحكمة من خلق الإنسان في القرآن الكريم، وهي استخلافه في الأرض، وتخويله فيها وابتلاؤه بها واستئمانه عليها لوقت محدود، وإلى يوم موعود، لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: ٧].

تعرَّفنا في الأجزاء السّابقة إلى أهمّيّة القَصص القرآنيّ، وأنّه ليس لمجرّد التّسلية والاستمتاع وإنّما هو معروض لأهداف علميّة وفكريّة وتربويّة ودعويّة. فالقَصص القرآنيّ هو من الأمور الغيبيّة الّتي تستلزم الإيمان بالله ﷻ إيماناً جازماً ينفي الوهم والشّكّ والظّنّ، والإيمان برسل الله صلوات الله عليهم اعتقاداً وإقراراً، فالإيمان بالرّسل هو من أركان الإيمان السّتّة ألا وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فالإيمان بعالم الغيب هو ركن من أركان الإيمان حينما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، كذلك الإيمان بالغيب هو الأساس الّذي بني عليه الدِّين، حينما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والغيب هو كلّ ما غاب عن الإنسان ولا يدركه بحواسه الخمس، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

علم الغيبيّات من الأمور الّتي استأثر الله تعالى بها، واختصّ بها نفسه جلّ وعلا، دون سواه من ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث الدّالّة على ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦].

يقولُ الإمامُ الطّبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره آية: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، قلْ لهؤلاءِ المنْكرينَ نبوّتكَ: «لسْتُ أقولُ لكم إنِّي الرّبُّ الّذي له خزائن السّماواتِ والأرضِ، فأعلمُ غيبَ الأشياءِ الخفيَّةِ، الّتي لا يعلَمُهَا إلَّا الرّبُّ الّذي لا يخفَى عليهِ شيءٌ فتكذِّبوني فيما أقولُ من ذلكَ، لأنّه لا ينبغي أنْ يكونَ ربًّا إلَّا منْ له ملكُ كلِّ شيءٍ، وبيدهِ كل شيءٍ، ومن لا يخفَى عليه خافية، وذلكَ هو الله الَّذي لا إلٰه غيرُه».

وبما أنَّ الإيمانَ بالأمورِ الغيبيّةِ هو منْ عندِ الله، فلا بدّ منَ الإيمانِ والتَّصديقِ أنَّ كلَّ ما يأتي منْ غير هذا المصدر هو طرقُ الدّجّالينَ المنجِّمينَ والعرّافينَ والكهّان.

فمن مسائل التّوحيدِ الإيمانُ بالأمورِ الغيبيّةِ وهي صُلبُ الدِّينِ الإسلاميِّ وأصله الأصيلِ، وبها يميَّز المؤمنُ من الكافرِ، ويميَّزُ أصحابُ الجنّة منْ أصحابِ الجحيم. وممّا ابتليَ به الإنسانُ في هذه الدّنيا هو معرفة الشّبهاتِ، وتشكيكُ النّاسِ بما أخبر به رسول الله ﷺ، فهذا الابتلاء ليميّزَ الخبيثُ منَ الطّيبِ، والمصدّقُ منَ الكاذبِ، والمخطئُ من المصيبِ.

وتحدَّثنا في الأجزاءِ الأربعةِ السّابقةِ كذلك عنْ (ممّ يتكوَّن الإنسانُ)

وأوضَحنَا كيفيَّةَ إدراكِ الإنسانِ ما حولَه؟ وتحدَّثنا باستفاضةٍ عنِ المقوّماتِ الّتي مُنِحَت له لمعرفَةِ ما سخّره الله له والتي منها الأمانةُ والفطرةُ والحواسُ وكيف يدركُ بها ما حولَه. وتحدَّثنا عن النّفسِ الّتي تتكوَّنُ من جسدٍ وروحٍ إلى كيفيّة كسبِ الإنسانِ عنْ طريقِ قوّةٍ إدراكيّةٍ من منافذِ النّفسِ وهي تُطلّ منها على العالمِ الخارجيِّ ـ ألا وهي الحواسُّ ـ، فمقدار ما تنقلُ هذه الحواسُّ من حقائق للقوّةِ الإدراكيّةِ، تستطيعُ أن تتخيَّلَ وتدركَ وتركّبَ وتستنتجَ القواعدَ العامَّةَ، وتقيسَ الأشباهَ والنّظائرَ على بعضها البعض ولا تستطيعُ شيئاً غير ذلك. لذا بعدما تحدَّثنا واستفضْنَا، نستنتجُ أنَّ الحواسَ محدودةٌ. فهي منافذُ محدودة كمًّا وكيفاً، والعقلُ مقيَّدٌ بعالمِ الحسِّ ولا عملَ له على عالمِ الغيبِ وهو محدودٌ ولا يستطيعُ أن يدركَ جميعَ الحقائق.

وأيضاً قدرةُ التَّخيّلِ فينا محدودةٌ، وبما أنَّ العالم من حولِنا مقسومٌ إلى عالمٍ مادّيٍّ مشهودٍ ومحسوسٍ وعالمٍ غيبيٍّ مجرّدٍ لا يمكنُ أن تراهُ العيون، مع ذلك لا يمكنُ أن ننكرَه لعدمِ رؤيتنا له ولا يمكنُ أن نتصوَّره كما نريدُ ولا يمكنُ أن نتفكَّرَ به من الخيالِ أو العقلِ، لأجلِ ذلك فإنَّ الوحيَ هو الطّريقُ الوحيدُ لتعريفِنا بحقائقِ الأشياءِ الدّاخلةِ في عالمِ الغيبِ، ومنْ أَجْلِ ذلكَ أرسلَ الله الرُّسلَ، الَّذينَ اتّصلوا بالوحي منْ عالمِ الغيبِ، فالوحيُ يبلِّغهم بعضَ الحقائقِ المغيَّبةِ عنّا، وهم يبلّغوننا ما نقلوه منَ الوحي بشكلٍ يقينيٍّ واضح، وما علينا إلَّا أنْ نصَدِّقهم فيما أخبروا من عند الله تعالى، لذا يجبُ أنْ نؤمنَ جازمينَ ومتيَقِّنِينَ بما جاءَنا منَ الوحي الصادقِ دونَ أن نزيدَ عليه شيئاً من التّخيُّلاتِ أو التّصوّراتِ، ودونَ أنْ نتلاعب فيه بتأويلاتٍ.

وبهذا ندركُ أنّه لا يُمكننَا معرفةُ الأمورِ الغيبيّةِ إلَّا عن طريقِ الخبرِ الصّادقِ، المرسلِ منَ الله تعالى عن طريقِ الوحي والمثبت في كتابِ الله تعالى والمؤكّدِ عن طريق سنّة رسول الله ﷺ.

وبما أنَّ القَصص القرآنيّ غيب من عند الله تعالى لا نتّبعُ إلَّا هٰذينِ

المصدرينِ، فما سكتَ عنه القرآنُ الكريمُ والحديثُ الشّريف في وقائعِ القَصَصِ القرآنيِّ نتوقّفُ عنه.

هذه مقدّمة الجزء الخامس من القَصص النبويّة بأسلوبٍ تربويٍّ جديدٍ، بدأناها بهذه المقدّمة لتكون دليلاً للمعلِّم يتَّبعه في منهجيّة تعليمه لهذا الصّفِّ (الصّفِّ العاشرِ) فعمر الطالبِ ما بين (١٥ ـ ١٦ عاماً) وهي مرحلة انتقاليّة من طورِ الفتوّة إلى طورِ الشّبابِ، فعليه مراعاةُ هذه الأحوال ومعرفةُ الطّرقِ والأساليبِ التّربويّةِ الّتي تلقّاها الصَّحابةُ الكرامُ فحازوا على لقب خيرِ القرونِ قرني ثمَّ الّذي يليه ثمَّ الّذي يليه...، مع اتّباع السلَّم القيميِّ لهذه المرحلةِ.

وفي الختامِ ندعو الله ﷻ أنْ يسدّدَ خطانا ويوفِّقنا لما يحبُّه ويرضاه، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الدكتورة

شيرين لبيب خورشيد

بيروت في: ٢٠١٨/٩/١٧م

الموافق ٧ محرم ١٤٤٠هـ

* * * * * *

تقديم

بقلم د. صلاح عبدالفتّاح الخالديّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونتوبُ إليه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلَا هاديَ له، وأشهدُ أن لَا إلٰه إلا الله، وحدَه لَا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ الله العليم الحكيم يعلَم أهمّيّةَ القَصص في حياة النَّاسِ، وفي ترسيخِ القيمِ والفضائلِ فيهم، وفي تقديمِ العلمِ والمعرفةِ إليهم، وفي تربيتهم وتوجيههم وتهذيبهم وتقويمهم، وفي عبادتِهم وطاعتِهم.

ولذلكَ أوردَ كثيراً من القَصص الهادف في القرآن، وشغلَ ذلك القَصص مكاناً واسعاً فيه، وكان من أهمّ مضامين وموضوعات الآياتِ الكريمات.

والقَصصُ في القرآن قصصٌ هادفٌ، يراد منه تحقيقَ غاياتٍ ساميةٍ،

وأهدافٍ عالية، وقدم القرآن من خلالِ قَصصه مَا يريد تقديمه من المعاني والعلوم والحقائق والمبادئ، والتّوجيهات والدّلالات.

وكانت القَصص المذكورة في القرآن ميداناً واسعاً للدّارسين والباحثين، والمفسّرين والمحلِّلين، حيثُ أقبل كثيرون على تلك القَصص ونظروا فيها، وفسّروها وحلّلوها، وعرضوها واستنبطوا منها..

وصدَرتْ كتبٌ كثيرة حول القَصصِ القرآنيّ، وكانَ أكثر تلك الكتب في هَذَا العصر، الّذي شهد إقبالاً خاصًّا من الباحثين والمؤلّفين على القرآن وقَصصه، وصدرت عشرات الكتب الخاصّة بالقَصص القرآنيّ، وتعدّدت المناهج، واختلفت الأسس، وتنوّعت الاجتهادات، وكثرتِ التّحليلات.. واتَّسعتِ السّاحة العلميّة لكلّ تلك الكتب والمؤلّفات، وفيها من الخير والنّفع مَا فيها، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، وأصحابها مأجورون عند الله، إن شاء الله..

وهذه السّلسلة الّتي نقدّم لها ليست العمل الأوّل المتعلّق بالقَصص القرآنيّ، ولن تكون الأخير، فَقَدْ سبقه كتبٌ عديدة، اجتهد فيها أصحابها، وقدّموا مَا فيه الخير والنّفع والفائدة، وستأتي كتب أخرى في المستقبل، تبحثُ وتحلّلُ، وتدرّسُ وتوجّه، وتشيرُ وتستنبط، وسيبقى القرآن مفتوحاً أمام النّاظرين والمحلّلين، وستبقى قَصصه مادّة ثريّة غنيّة، يُقبلُ عليها كلّ ذي تخصُّص ويجد فيها مَا يريد، وهذا من مظاهرِ إعجاز القرآن، الّذي لَا يشبع منه العلماء والباحثون، على اختلاف تخصّصاتهم واهتماماتهم..

الجيِّدُ في هذه السّلسلة القصصيَّة التّربويّة الهادفة، الّتي أعدَّتها الأخت الفاضلة «شيرين خورشيد» أنَّها سلكت أسلوب «الحوار» العلميّ التّربويّ الهادف، وليس أسلوب السّرد الروائيّ، أو النّظر التّحليليّ، أو التّوجيه الاستنباطيّ.. وَقَدْ سبق أن أشرنا إلى تعدّد المناهج المفيدة في دراسة القَصص القرآنيّ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا...﴾.

والجيِّدُ في عمل الأخت خورشيد هو تقديم هذه السّلسلة التّربويّة من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلالِ أسرةٍ مسلمةٍ ملتزمة، معلّمة ومتعلِّمةٍ، ومترابطةٍ ومتماسكةٍ. إنَّها أسرة «أبي أحمد»، الّتي أرادتِ الأخت أن تكونَ نموذجاً للأسرة المسلمة، الّتي تجلسُ على مائدة القرآن، وتأخذ منها العلم والمعرفة، والتّوجيه والتّربية.

أبو أحمد يعملُ ويوجِّه، وأمّ أحمد تعمل وتعلِّم وتحلِّل، والإخوة الثلاثة أحمد وجميل وسامي يسمعون ويتلقّون، ويتابعون ويحاورون، ويناقشون ويحلّلون. يسأل الأبناء بأدبٍ، ويتلقّون الجوابَ من أحدِ الأبوين، ويتحاورُ الجميع على مائدة الطّعام أو في جلسة الاستراحة، أو يقومون برحلة بعيدة أو قريبة.. وهدفُ الجميع هو الوقوف مع قَصصِ القرآن متعلّمين ومحلّلين..

بدأنا مع أسرة أبي أحمد في الحلقة الأولى من هذه السّلسلة الطّيّبة، وتابعنا الجلسات العائليّة مع هذه الأسرة، وما فيها من حواراتٍ وسؤالاتٍ، وجلسنا مع الأسرة بخيالنا وهي تتحاور، وسرنا مع أفرادها وهم يسيرون، وارتحلنا معهم وهم يرتحلون، واستفدنا معهم وهم يستفيدون، وتعلمنا معهم وهم يتعلمون.

والجيِّدُ في هذه السّلسلة النّافعة أنَّها تعاملت مع القَصصِ القرآنيِّ بمنهجيّةٍ، حيثُ حرصتِ الأخت «شيرين» على البقاء مع القرآن الكريم، وهي تتحدّث عن قَصصه، ولم تخرج إلَّا إلى أحاديث رسولِ الله ﷺ الصّحيحة، والجيِّدُ في عملها أنَّها لَمْ تذكرْ شيئاً من الإسرائيليّات والأخبار غير الصّحيحة، وهي الّتي لَا دليلَ عليها من القرآنِ والحديثِ الصّحيحِ.

وحرصتِ الأخت في مَا سجّلته من حواراتِ أفراد الأسرة على التّركيزِ على الأبعاد العلميّة والتّربويّة، والإيحاء لقرّاء هذه السّلسلة بأن يكونوا كأسرة أبي أحمد، بما فيها من معلّمين ومتعلّمين..

ولقد أكرمتني الأخت الفاضلة «شيرين خورشيد» مرّتين: مرّة عندما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عرضتْ عليّ هذه السّلسلة قبل نشرها، فقرأتها واستفدْت منها، ومرّةً أخرى عندما طلبتْ منِّي التّقديم لها، فجزاها الله خيراً.

ونسألُ الله لهذا العمل القبول، وللأختيْن الأجرَ والثّوابَ، وللقرَّاء الفائدة والمعرفة.

وصلَّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

الاثنين ١٠ محرم ١٤٢٨هـ

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، الحمد لله الذي وفّق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكوراً، وحقّق آمال الآملين برحمته فمنحهم عطاءاً موفوراً.... وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

خرجت للدّعوة إلى الله عام ١٩٩٢، كان عمر أصغر أولادي حينها ثمانية أشهر... وحينما سرت على هذا الدّرب شعرت بجهلي التّام الذي لا زلت أعيشه حتّى هذه اللحظة، نعم جهل عشناه طوال هذه السّنين، وبدأت بوضع خطط لمعرفة الطّريق الصّحيح الذي يجب أن نسير عليه، نعم بدأت بتلقّي العلم... من هنا وهناك... متعطّشة لتلقّي العلوم الشّرعيّة المفروضة على كلّ مسلم ومسلمة، وبفضل الله تعالى حزت على القليل من تلقي العلم ممّا سمح لي بالالتحاق بركب المعلّمات لأدرّس مادّة التّربية الإسلاميّة والتّربية الوطنيّة عام ١٩٩٥... ممّا جعلني ألتحق بعدها بكلّيّة الإمام الأوزاعيّ عام ١٩٩٦، وبدأت المسير على الصّراط المستقيم إلى أن وصلت عام ٢٠٠٠ كلّفت بشرح قَصَصِ الأنبياء لمجموعة أخوات... وبدأتها مع قصّة آدم عليه السّلام إلى أن وصلت في نفس الجلسة مع قصّة ابنَيْ آدم... وهنا المشكلة الأساسيّة، إنّني اشترطت حين

البدء بشرح القَصص الأخذ فقط من مصدرين أساسيّين: كتاب الله وسنّة رسوله الكريم... نعم هذا ما قلته للأخوات وبدأت السّرد وكما هو متعارف عليه إلى أن وصلت إلى قتل ابْنَي آدم أحدهما للآخر... وكان من بين الحاضرات من سألتني... ومن تزوّج بعد قتل أخيه...؟؟

وهنا بدأت التّفكير في كتابة القَصص القرآنيّ للأنبياء، وفعلاً في عام ٢٠٠٠، بدأت مع الأستاذة آمنة منير عانوتيّ، وضع المسودات للقَصص، والتقيت بالأستاذة عبلة بساط جمعة جزاها الله خيراً لمتابعة تربية الطّفل من عمر ١١ سنة إلى عمر ١٨ سنة كلٌّ حسب عمره، وبدأت بتقسيم القَصص القرآنيّ ووضع سلّم قيميّ... في هذه الأثناء بذلت جهداً كبيراً لحضور دورات تربويّة، وقدّمت استقالتي من المدرسة للتفرّغ لهذا المشروع الكبير مع إكمال دراستي في كلّيّة الإمام الأوزاعي لأنهي الإحدى والعشرين مادّة المقرّرة مع الأبحاث المقرّرة للوصول إلى رسالة الماجستير....

عملنا أنا وآمنة عانوتيّ بجدّ للقاء القيّمين التّربويّين لمساعدتنا لوضع اللّبنات الأساسيّة... وهكذا كان... كما ذكرت في القَصص الجزء الرّابع، ولكن اليوم سأسرد لكم السّبب في اعتمادي كتب الدكتور صلاح الخالديّ كمراجع.

في عام ٢٠٠٥ ذهبت إلى دار القلم لشراء بعض الكتب وقد حظيت بمجموعة كبيرة من المصادر والمراجع لحاجتنا لتأليف القَصَص القرآنيّ، فسألت القيّم هناك عن معرفته بالدّكتور صلاح الخالديّ وإنّني ألّفت ٢٥ قصّة، وأودّ من الدّكتور الاطّلاع عليها وتصحيحها، عام ٢٠٠٧ وهكذا كان... وفي ٢٠٠٧/١/٢٩ ـ ١٤٢٨/١/٩ أ:ي في مثل هذه الأيّام الهجريّة سافرت إلى الأردن للقاء الدّكتور صلاح الخالديّ، وكان اللّقاء مثمراً حيث صحّح لي تسعَ عشرةَ قصّة بدأت أنهل من علمه الغزير لمدّة ثلاثة أيّام وكان شديد التّواضع والكرم، ومهما تحدّثت عن اللقاء الذي دام ثلاثة أيّام لن أوفيه حقّه.... وبعد الانتهاء من القصّة التّاسعة عشر قال لي: لا

أستطيع إكمال القَصص، ولكن أجيزك لإكمال تصحيحها كما صَحّحت القَصص السّابقة، وأوصاني بمجموعة من الكتب من تأليفه منها القَصص القرآنيّ، عرض وقائع وتحليل أحداث، ومجموعة أخرى من المراجع التي تساعدني في تصحيح بقيّة القَصص.. وأهداني كتاب سيرة آدم عليه السلام كما وقّع لي على الكتاب، وهكذا كان من عام ٢٠٠٠م إلى يومنا هذا أحاول جاهدة إكمال هذا المشوار الذي تخلّلته صعاب ولكنّ لطف الله عزَّ وجلَّ يواكبني خلال هذا المسير مع الدّعاء لله عزَّ وجلَّ أن يعينني على إنهاء تصحيح بقيّة القَصص.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين، ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السّميع العليم.

د.شيرين لبيب خورشيد

بيروت في: ٢٠١٨/٩/١٧م

الموافق ٧ محرم ١٤٤٠هـ

الصّفّ العاشر (الجزء الخامس)
وهي مرحلة انتقاليّة
عمر الطّالب ما بين ١٥ ـ ١٦ عاماً

قصّة رقم ١٨: نبيّ الله موسى عليه السلام نشأته وشبابه.

قصّة رقم ١٩: موسى عليه السلام يكلَّف بالرّسالة.

قصّة رقم ٢٠: موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون.

قصّة رقم ٢١: موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعريف بالكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم وعلى بقيّة الأنبياء والمرسلين، وعلى كلّ من اهتدى بهديهم إلى يوم الدِّين. ومن قصص الأنبياء نقتبس خير الخلق الكريم وأفضل صفات ترضي الله تعالى ربّ العالمين.

يتناول الكتاب:

قَصَص الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى سيّدنا عيسى عليه السلام، بأسلوب تربويّ جديد، يجذب الأطفال إلى متابعة قَصص الأنبياء وأخذ الحكم والعبر منه بطريقة غير مباشرة عبر أسرة مسلمة ملتزمة بمنهج الله تعالى ومطبّقة لأحكامه في حياتها اليوميّة.

هذا الكتاب هو الجزء الخامس من سلسلة قَصصيّة قائمة على إنشاء الفتية على التّوحيد الصّحيح وغرسه في نفوسهم، وعلى القيم والأخلاق الحميدة الثّابتة في القرآن والسّنّة وفق سلّم قيميّ، ليطبّقها في حياته اليّوميّة.

القصّة رقم ١٨: نبيّ الله موسى عليه السلام نشأته وشبابه.

القصّة رقم ١٩: موسى عليه السلام يكلّف بالرّسالة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القصّة رقم ٢٠: موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون.

القصّة رقم ٢١: موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر.

الأهداف من تأليف هذا الكتاب:

جعل القارئ يستنتج ويرى أن الإسلام دين كامل متكامل يغطّي جوانب الحياة الإنسانيّة كلّها. فالدّين منهج حياة شاملة في الدّنيا والآخرة. وكانت الغاية إعادة المتعلّم إلى الحياة الشّاملة المتكاملة بحسب دين الله عزّ وجلّ في الدّنيا والآخرة، ومدى صلته بالله عزّ وجلّ ليفوز بسعادة الدّارين. فمن خلال أسرة افتراضيّة هي أسرة أبي أحمد يتعلّم الطّالب أهمّيّة الأسرة المسلمة الملتزمة بأوامر الله والمطبّقة لمنهجه في حياتها اليوميّة.

الغاية من تأليف هذا الكتاب:

نظراً للواقع الذي نعيشه اليوم، من ابتعاد النّظم التربويّة عن الإسلام وتوجّهاته، وبعد البحث ومراجعة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصّةً في المرحلة الأولى من بعثته عليه السلام، ودراسة الفترة التي تلتها في المدينة المنوّرة، نجد أنّه كان لقصص الأنبياء تأثير كبير في بناء شخصية المسلمين الأوائل، امتدّ أثر هذه القصص على بناء المدينة الإسلاميّة، بناء النّواة الأولى والأسس الحيويّة لمجتمع جديد فتحقّقت نبوءته عليه السلام حين قال: «**خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم...**».

وبعد مراجعة السّور المكّيّة، نجد أن الله عزّ وجلّ قصّ علينا في القرآن الكريم الكثير من قَصص الأنبياء مع أقوامهم، وقد شكل هذا جزءاً كبيراً من القرآن. وقد كان للقصّة الأثر الكبير في عمليّة التّغيير غير المباشر، وإنّ الشّواهد على ذلك كثيرة، إذ أثرت في وجدان الصّحابة وفي مواقفهم وفي إيمانهم. لذا ومن خلال تجربتي في تدريس مادة التربيّة الإسلاميّة، وجدت شغفاً قويّاً لدى الطّلاب إلى سماع القصّة أوّلاً، قبل اللجوء إلى كتاب التّربية الإسلاميّة، بل بدا لي عدم اكتراثهم بالكتاب، وهكذا كانت بداية

هذه الفكرة وهي الإتيان بكتاب تربية إسلاميّة على شكل قَصص، غايته ترسيخ عقيدة الطّفل المسلم عبر سلّم قيميّ نرتقي من خلاله بتربيّة الطّفل بحسب عمره من سنّ الحادية عشرة إلى الثّامنة عشرة، ومقدرته على التّلقّي والاستفهام وعلى الانتقال من المحسوس إلى المجرّد، لغرس العقيدة الصّحيحة في نفوس الأطفال، والتّأسي برسولنا سيّدنا محمّد ﷺ في حياته اليومية، وبذلك فرسخ في أذهان وأفكار الأطفال القيم والأخلاق والعقيدة الثّابتة إلى يوم القيامة، فننشئ إنساناً مؤمناً بالله، يعبده بإخلاص، ويطبّق أحكامه ﷻ، مستقلًّا مسؤولاً، صالحاً مصلحاً في مجتمعه.

* * * * * *

أسلوب الكتاب

أ ـ اعتُمد سرد القَصص عن طريق أسرة مسلمة ملتزمة مؤلّفة من والِدَيْن: أبي أحمد وأمّ أحمد، وأحمد وجميل وسامي، تنقل القيم والإيمانيّات عن طريق الحوار والمناقشة للعودة إلى الفطرة السّليمة ألا وهي التّلقّي والاستفهام، تنتقل الأسرة بين أماكن عدّة لتتعرّف من خلالها على البلاد التي سكنها الأنبياء.

وحرصنا من خلال سرد القَصص إلى الابتعاد عن الإسرائيليات، واستسقاء مادتنا العلميّة من القرآن الكريم والأحاديث الصّحيحة.

ب ـ التّركيز على الأهداف المعرفيّة في نقل المعلومات إلى الطّلاب.

تحريك وجدانهم لجعلهم يتقبلون المعلومات في قلوبهم ويتأثّرون بها وجدانياً.

ت ـ محاولة نقل هذه المعرفة إلى السّلوك اليوميّ الحيّ.

أسباب اعتماد القصّة كأسلوب تعليميّ تربويّ هادف:

جاء الأمر صريحاً في القرآن الكريم حول أهداف القَصَصِ القرآنيّ منها:

أ ـ **الهدف الأوّل**: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لشحذ العقول والأفكار.

ب ـ **الهدف الثاني**: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لتقديم العبر والعظات.

ت ـ **الهدف الثّالث**: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ تثبيت القلوب على الدّعوة.

والقَصص القرآنيّ يحقّق هذه الأهداف الرّائعة لكلّ من سار على طريق رسول الله ﷺ في التّربية والدّعوة، وفي الإصلاح والجهاد والمواجهة.

ث ـ **الهدف الرّابع**: توثيق المعلومات التّاريخيّة.

ج ـ **الهدف الخامس**: تقريب المعلومات بشكل موثوق.

ح ـ **الهدف السّادس**: الوصول إلى الاستنتاجات العلميّة بشكل غير مباشر وهو الأقرب إلى القبول والحفظ عند الطّلاب.

* * * * * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ **البداية والنّهاية**: إسماعيل بن كثير الدّمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطّبعة الثّانية ١٩٧٤.

٣ ـ **الأحاديث الصّحيحة من أخبار وقَصص الأنبياء**: إبراهيم العلي، دار القلم، الطّبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤ ـ **تفسير القرآن العظيم «تفسير ابن كثير»**: إسماعيل بن كثير الدّمشقيّ، دار الحديث، القاهرة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥ ـ **الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبيّ»**: محمّد بن أحمد الأنصاريّ، القرطبيّ، مؤسسة مناهل العرفان، دمشق.

٦ ـ **جامع العلوم والحكم**: أبو فرج عبدالرحمٰن (ابن رجب)، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ط٤، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، جزءان.

٧ ـ **وجميع مراجع الأحاديث النّبويّة**: بخاريّ ـ ومسلم ـ وابن ماجه ـ والتّرمذيّ، والنّسائيّ... ونخبة من مراجع قَصص الأنبياء ألّفت حديثاً. وغيرهم من المصادر والمراجع.

* * * * * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يحتوي (الجزء الخامس) على الإيمانيّات والقيم التّالية لكلِّ قصّة:

قصّة رقم ١٨
نبيُّ الله موسى عليه السلام
نشأته وشبابه

سلوكيات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
١ ـ الحثّ على النّظافة. ٢ ـ ضرورة المحافظة على الالتزام بالمواعيد. ٣ ـ تربية الأولاد على التعاون، وتحمّل بعض المسؤوليّات المنزليّة، بين أفراد الأسرة. ٤ ـ بيان ضرورة اجتماع العائلة على مائدة الطّعام. ٥ ـ أهمّيّة التّعزيز والثّناء على من يبدي مهارة معيّنة من الأولاد.	١ ـ إماطة الأذى عن الطّريق. ٢ ـ معرفة قصّة موسى عليه السلام. ٣ ـ الإيمان علم وعمل. ٤ ـ تعريف منهج الله عز وجل، وأهميّة اتّباعه في الحياة اليوميّة. ٥ ـ أسباب أهمّيَّة المنهاج وضرورة العمل به. ٦ ـ تعريف بالحضارة الغابرة. ٧ ـ الآجال مضروبَة محددة مسطورة باللّوح المحفوظ قبل خلق الزّمان والمكان بـ ٥٠ ألف عام، لذا يجب الإيمان بحتميّة الموت.

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
	٨ ـ شرح حديث: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم...».
	٩ ـ أهمّيّة تدبّر آيات الله ﷻ وتجنّب المبهمات.
	١٠ ـ مقارنة بين يوسف عليه السلام الغلام، وبين موسى عليه السلام الرّضيعْ.
	١١ ـ تعريف معنى ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾.
	١٢ ـ أهمّيَّة الدّعاء للذّريَّة بالصّلاح والفلاح.
	١٣ ـ أهمّيَّة العودة فِي القصّص القرآنِيّ إلى مصدرين اثنين، كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.
	١٤ ـ معرفة شروط التّوبة.
	١٥ ـ أدب موسى عليه السلام مع الله.
	١٦ ـ باب قبول التّوبة مفتوح إلى أن تشرق الشّمس من المغرب.
	١٧ ـ شرح حديث: «**إنّ من قِبَل المغرب لبابًا مسيرة عرضه أربعون عامًا أو سبعون**...».
	١٨ ـ شرح بعض علامات السّاعة الكبرى.
	١٩ ـ تعداد مكفّرات الذّنوب.
	٢٠ ـ شرح حديث: «**لمّا قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضبي**».
	٢١ ـ شرح حديث: «**ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب**...».
	٢٢ ـ شرح معنى عصمة الأنبياء...

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة رقم ١٩
موسى عليه السلام
يكلّف بالرّسالة

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
١ ـ تعريف معنى الأسرة الحميمة.	١ ـ رواية قصّة موسى عليه السَّلام بعدما قتل القبطي وما حدث معه من أحداث... لحين سفره إلى مدين.
٢ ـ أهمّيّة المحبّة والألفة في بيئة اجتماعيّة سليمة.	٢ ـ تتالي أحداث الأنبياء توقيفيّ في حقّ الله تعالى.
٣ ـ تنمية العلاقات الأسريّة لاستمرار السّعادة والإحساس بالأمان.	٣ ـ شرح بعض معاني الآيات ﴿تَذُودَانِّ﴾ ـ ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ـ ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ ـ ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.
٤ ـ أهمّيّة متابعة دورات تربويّة، لمتابعة تربية الأطفال التّربية السَّليمة.	٤ ـ معرفة أسماء الله الحسنى وأهمّيّة التّوسّل والخضوع والتّذلّل إلى الله ﷻ بها، والافتقار لله ﷻ.
٥ ـ خطوات معالجة الخجل عند الأطفال.	٥ ـ شرح حديث: «**عليك بالكوامل: اللّهم إنّي أسألك من الخير كلّه عاجله وآجله...**».
٦ ـ أهمّيّة ممارسة الرّياضة، للمحافظة على العقل السّليم بالجسم السّليم.	٦ ـ تعداد الفوائد من دعاء موسى عليه السلام ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
٧ ـ الحثّ على مطالعة الكتب وارتياد المكتبات العامّة لاستعارة الكتب وقراءتها، لمعرفة خطوات البحث في كتابة مواضيع التّعبير. . .	٧ ـ شرح حديث: «**إذا سُئلت أي الأجلين قضى موسى؟ . . .**».
٨ ـ معرفة شروط عمل المرأة خارج المنزل.	٨ ـ رواية قصّة موسى عليه السلام مع الفتاتين وأبيهما الصّالح، وزواجه من ابنته.
٩ ـ التمييز بين صفات المنفعل سريع الغضب والهادئ وبيان أهمّيّة كلّ منهما.	٩ ـ أهمّيّة التّوسّل بالله عزّ وجلّ.
١٠ ـ أهمّيّة الاستنتاج العقليّ للوصول إلى الحقائق.	١٠ ـ شرح حديث: «**اللّهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة والذّلّة، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم**».
	١١ ـ شرح حديث: «**إذا آتاكم من ترضون دينه وخلقه . . .**».
	١٢ ـ شرح حديث: «**قال: سألني يهوديّ من أهل الحيرة: أيّ الأجلين قضى موسى عليه السلام؟**».
	١٣ ـ عودة موسى عليه السلام مع أهله إلى مصر، عن طريق سيناء.
	١٤ ـ شرح معنى آنس.
	١٥ ـ شرح معاني الآيات: ﴿ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ـ ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ ـ ﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾.
	١٦ ـ خطاب الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام.
	١٧ ـ ما أوّل ما خاطب الله عزّ وجلّ به موسى عليه السلام؟.
	١٨ ـ أهمّيّة التّوحيد في حياة الإنسان، ومعرفة صفات الله عزّ وجلّ وأسمائه الحسنى.
	١٩ ـ شرح معنى ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾.
	٢٠ ـ شرح معنى ﴿إِلَـٰهَ﴾.
	٢١ ـ معجزات موسى عليه السلام (العصا ـ واليد).
	٢٢ ـ تكليف موسى عليه السلام بالنّبوّة والرّسالة.

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
	٢٣ ـ شرح دعاء موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾.
	٢٤ ـ صفات سيّدنا موسى عليه السلام وصفات أخيه هارون عليه السلام.
	٢٥ ـ هارون عليه السلام وزير لموسى عليه السلام ونبيّ.
	٢٦ ـ أهمّيّة ذكر الله عز وجل وشكره.
	٢٧ ـ شرح معنى القدر.
	٢٨ ـ الهدف الأساسيّ للنّبيِّ موسى إخراج بني إسرائيل من مصر.

قصّة رقم ٢٠
موسى عليه السلام
ومواجهته لفرعون

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
١ ـ تحمّل المسؤوليّة ومساعدة الوالدين برًّا بهما. ٢ ـ تعوّد الوالدين شكر أبنائهم بعد مساعدتهم لهم. ٣ ـ تنشيط غريزتَيّ الصّبر والإرادة تجاه فتن الشّهوات. ٤ ـ تنمية روح المبادرة بالحوار المثمر الفعّال. ٥ ـ وبيان الفرق بين (إنْ) وبين (إذا).	١ ـ ذكر المبهمات في قصّة موسى وهارون عليهما السلام. ٢ ـ شرح معنى وزير. ٣ ـ شرح حديث: «**أي أخ كان فِي الدّنيا أنفع لأخيه؟**». ٤ ـ أهمّيّة تذكّر نعم الله عزّ وجلّ. ٥ ـ شرح معنى الآية: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾. ٦ ـ بيان صفات الله عزّ وجلّ. ٧ ـ نفّذ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام ما أمرهما الله به ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. ٨ ـ شرح معنى عبيد، وتسليط الضّوء على أن نكون عبيدًا لله الواحد القهّار. ٩ ـ إظهار معنى كافر بالنّسبة لموسى عليه السلام.

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
	١٠ ـ شرح معنى الآية: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.
	١١ ـ شرح صفة رَبّ العالمين.
	١٢ ـ شرح علم الله الأزلي وما كتب في اللوح المحفوظ.
	١٣ ـ معجزة سيّدنا موسى عليه السلام.
	١٤ ـ أهمّيّة ذكر صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى لبيان كذب فرعون حينما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.
	١٥ ـ استهزاء فرعون بموسى عليه السلام وهارون.
	١٦ ـ تعلّم كيفية حوار الكافر بآيات وصفات الله عز وجل.
	١٧ ـ شرح معنى الآية: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.
	١٨ ـ الفرق بين العلم والجهل.
	١٩ ـ موقف السَّحَرَة أمام معجزة موسى عليه السلام في يوم الزّينة.
	٢٠ ـ شرح معنى الخوف عند موسى عليه السلام.
	٢١ ـ إلقاء العصا وتحوّلها إلى ثعبان.

قصة رقم ٢١
موسى عليه السلام وهارون عليه السلام
بعد خروج بني إسرائيل من مصر

سلوكيّات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
١ ـ أهمّيّة ترابط وتكاتف العائلة في التّربية السّويّة للأولاد.	١ ـ ذكر سبب تكبّر فرعون وإنكاره لوجود الله عزّ وجلّ.
٢ ـ دور الجدّ والجدّة في تعزيز القيم والأخلاق للأحفاد.	٢ ـ شرح معنى العقل.
٣ ـ أهمّيّة رضى الوالدين في حياة الأبناء.	٣ ـ شرح معنى الآية: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ و﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا... ﴿١٧٦﴾﴾.
٤ ـ الحثّ على صلة الأرحام وزيارة الأقارب.	٤ ـ إيمان السَّحرة قبل أن يسمح لهم فرعون.
٥ ـ الحثّ على التّواصل الاجتماعيّ النّافع.	٥ ـ تهديد فرعون ونكاله بالسّحرة لإيمانهم بربّ العالمين.
٦ ـ أهمّيّة التّنزّه في أيّام العطلة للتّفكّر بآيات الله.	٦ ـ موت السّحرة شهداء في سبيل الله.
٧ ـ الحضّ على صلاة الجماعة والصّلاة في المسجد للرّجال.	٧ ـ إيمان بعضٍ من قوم فرعون بعدما رأَوْا معجزة موسى .
	٨ ـ شرح معنى كلمة ذرّيّة.
	٩ ـ عودة فرعون لتعذيب بني إسرائيل.

سلوكّيات، أخلاق، قيم	إيمانيّات
	١٠ ـ شرح معنى الفطرة. ١١ ـ شرح حديث: «**ما بعث الله من نبيّ ولا استخلف من خليفة إلاّ كانت له بطانتان**. . . .». ١٢ ـ إظهار معاني الكبرياء، عند الأمم السّابقة (قوم نوح وعاد وثمود). ١٣ ـ الغاية من بناء الصّرح. ١٤ ـ إنزال العذاب على فرعون وقومه الكافرين. ١٥ ـ شرح الابتلاءات التّسع: ١ ـ العصا ٢ ـ اليد ٣ ـ ابتلاؤهم بالسّنين ٤ ـ نقص في الأموال والثمرات والأنفس ٥ ـ الطّوفان ٦ ـ الجراد ٧ ـ القمّل ٨ ـ الضّفادع ٩ ـ الدّم. ١٦ ـ إعراض فرعون عن الاستجابة لدعوة موسى عليه السلام. ١٧ ـ شرح معنى «**لا طِيرة، . . . .**» و«**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة. .**». ١٨ ـ شرح حديث: «**أحلّت لنا ميتتان: الحوت والجراد، ودمان: الكبد والطّحال**». ١٩ ـ خروج بني إسرائيل بقيادة موسى وهارون من مصر. ٢٠ ـ معجزة انفلاق البحر. ٢١ ـ غرق فرعون وقومه الكافرون. ٢٢ ـ بعض من صفات بني إسرائيل. ٢٣ ـ كيف كانوا يعبدون فرعون؟ ٢٤ ـ شرح حديث: «**بلى إنهم أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال، فاتّبعوهم، فذلك عبادتهم إيّاهم**». ٢٥ ـ عدم قبول توبة فرعون لأنّها توبة المضطّر، وليست توبة النّادم.

قصة رقم ١٨

نبيُّ الله موسى عليه السلام:
نشأته وشبابه

نبيُّ الله موسى عليه السلام: نشأته وشبابه

أنهى الطلَّابُ امتحاناتِهم الفصْلِيَّة الأولى وتنفَّسوا الصُّعَدَاءَ، فقدِ ٱرتاحُوا مِنَ التَّوَتُّرِ النَّفسِيِّ الّذي يعانيهِ جميعُ التّلاميذِ أثناءَ الامتحاناتِ ـ حتَّى ولو كانوا مجتهدينَ ـ فالامتحانُ مُشْتَقٌّ من المِحنَةِ، وهي تعني ٱلاِختبارَ والتّجربَةَ. ومَحَنَ الفِضَّةَ والذَّهَبَ: صفَّاهما وخلَّصهما بالنّار...

فضَّل الأولاد العودةَ إلى البيتِ سَيراً على الأقدامِ لتنشيطِ أجسادِهم وعقولِهم بعدَ المجهودِ الّذي بذلُوه. وقد رافقَهم في رياضَتِهم هذه بعضُ رفاقِهم.

رأى جميلٌ قِشرةَ موزٍ مُلقاةٍ في وَسَطِ الطّريقِ، وخوفاً مِنَ ٱلاِنزلاقِ الّذي قد يتعرَّضُ له بعضُ المارَّةِ، ٱنحنى وٱلتَقَطَها ثمّ وضعها في سلَّةِ المُهْمَلاتِ الموجودَةِ في الشّوارعِ العامَّةِ بشكلٍ واضح.

اِعترضَ أحدُ الرِّفاقِ على جميل: لماذا فعلتَ هذا؟ هل هو مِنِ اختِصاصِك؟ هذا عَمَلُ رجالِ النّظافَةِ الّذي يأخذُونَ عليه أجرَهم، إذا أنتَ فعلتَ هذا! فماذا يفعلونَ هم؟

جميل: النَّظافةُ مِنَ الإيمانِ. وهي ليسَتْ مِن ٱختِصاصِ قومٍ دونَ قَوْمٍ. هل تستطيعُ أنتَ السَّيْرَ أو الجلوسَ في مكانٍ قَذِرٍ، أو مشاهدَةَ مناظِرَ قبيحةٍ؟

أحمد: لقد أَمَرَنا دينُنا القويمُ بالنَّظَافَةِ، لهذا كانتِ الصَّلَوَاتُ الخمسُ مصحوبَةً بالوُضُوءِ، ومَن يتوضّأُ يبقَ نظيفاً وطاهِراً. فهل يجوزُ لإنسانٍ أن يصلِّي وَسِخاً ونجساً؟!

الرّفيق: هذا صحيح! فهل وَرَدَ في القرآنِ آيةٌ تتحدَّثُ عن النّظافَةِ، خاصَّةً وأنّكُم تتلقّونَ دُروساً في الدِّينِ وتحفَظُونَ القرآنَ الكريمَ؟

أحمد: ما لم يَرِدْ في القرآنِ الكريم وَرَدَ في السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، أي: في كلامِ سيّدِنا محمّد ﷺ الّذي هو وَحْيٌ يوحى، في حَثِّهِ لنا على إماطَةِ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ: «**لقد رأيتُ رجلاً يتقلَّبُ في الجنَّةِ في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظهْرِ الطّريقِ كانت تؤذي النّاسَ**»(١).

الرّفيق: ألِهذه الدَّرجةِ؟

أحمد: طبعاً، فإماطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ مِنَ الإيمانِ. فَقَدْ قالَ سيِّدُنا محمّد ﷺ: «**الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ أو بضعٌ وسِتُّونَ شعبةً، أفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطّريقِ**»(٢).

الأولاد: صدقَ رسُولُ الله ﷺ.

وصلُوا إلى بيتِهم متأخّرين عن موعِدِهم المحدَّد، فألقَوا التَّحِيَّةَ على أمِّهِم الّتي كانت قَلِقَةً لتأخُّرِهِم، وقبلَ أن تسأَلَهُم عن سَبَبِ تأخُّرِهِم، بادرُوها بالِاعتِذَارِ، فلقد كانَ من واجِبِهم إعلامُها بأنَّهم سيعودُونَ سَيْراً على الأقدامِ، ولكنّهم نَسُوا ذلك.

الأُمُّ: كمِ السّاعةُ الآن؟ ولماذا هذا التّأخُّر؟

أحمد (بأدبٍ وصوتٍ منخفضٍ هادئ): لقد عُدنا مَشْياً على الأقدامِ. فضَّلْنا التريُّضَ بعدَ الانتهاء مِنَ الامتِحانِ.

---

(١) أخرجه مسلم، والبخاريّ في الأدب المفرد، والبغويّ عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه مسلم (٣٥)، وأبو داود والنّسائيّ وابن ماجه.

الأُمُّ: كان يجدُر بكُم إعلامي بهذا مساءَ البارِحَةِ حتَّى لا أَقْلَقَ عليكم.

أحمد: معكِ حقٌّ. عذراً يا أمي، إن شاء الله نُعْلِمُك لاحِقاً عندما نضطرُّ للتّأخُّرِ عنِ الموعد.

سامي: أمِّي لو علِمتِ ماذا حدثَ معَنا أثناءَ الطريقِ لَٱزدَدْتِ فخراً وٱعتزازاً بِنا!

الأُمُّ: وماذا حدثَ؟

أخبرَ سامي أمَّهُ بكلِّ ما حدث، حتَّى التفاصيلَ الصغيرةَ الّتي يعلَمُ أنَّها ستجلُبُ لها السّرورَ والضَّحِكَ. وأخيراً ذَكَرَ لها الحديثَ الّذي استشهدَ به أحمدُ.

الأُمُّ: باركَ الله بكم ورَضِيَ عنكم. بالرّغمِ مِن ٱعتزازِي بكم إلاَّ أَنِّي أكرِّر عليكم وُجُوبَ إعلامي إذا أرَدْتُم التأَخُّرَ عنِ البيتِ.

الأولاد: نَعِدُكِ بذلك، ونكرِّرُ ٱعتِذَارَنا.

الأُمُّ: ٱدخُلوا الآنَ واغتَسِلُوا من غُبَارِ الطّريقِ، وبدِّلُوا ملابِسَكُم رَيْثَما أحضِّرُ لكُمُ الطَّعامَ، ثمّ تخبرونني بما فَعَلتُمُ اليومَ في الامتِحَانِ.

بعد انتهائِهِم مِنَ الطَّعامِ، واطْمِئْنَانِ والِدَتِهِم إلى كيفيَّةِ إجاباتِهم على الامتحانِ، أسرعوا إلى أسِرَّتِهِم لينالوا قسطاً مِنَ الرَّاحَةِ، ليتسنَّى لهم قضاءُ سهرةٍ مطوّلَةٍ مع والديهم، فقد نالوا عطلةً لا بأسَ بها بمناسَبَةِ انتهاءِ الفصلِ الدّراسِيِّ الأوَّلِ، وحتّى يتَمَكَّنَ المعلِّمونَ مِن تصحيحِ المسابقاتِ بهدوءٍ ورَوِيَّةٍ.

نَهَضَ أحمدُ من فراشِهِ قبل أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كانا مستغرِقَيْنِ في النّوم ـ وكأنّهما لم يناما منذ زمنٍ طويل ـ خرجَ إلى حيث يجلسُ والديه، فرأى أمَّه بمفردِها، فأبوه أيضاً كانَ ينالُ قسطَهُ منَ الرّاحة. نظر إليها فرآها شاحبةً.

سألها عمَّا بها فقالَتْ أنّها متعبةٌ قليلاً. فقال **أحمد**: ما دامَ الأمرُ كذلك، آسمَحِي لي أن أُحَضِّرَ شيئاً تحبِّينَهُ.

الأمّ: وما ذَاكَ؟

أحمد: مُهَلَّبِيَّة.

الأمّ: هل تُجيدُها؟!

أحمد: ليس هناك شيءٌ صعبٌ. أخبِريني بالمقادِيرِ الصّحيحَةِ أطبخُها!

اِبتسمتِ **الأمُّ** وعلَّمَتِ ابنَها مقاديرَ الماءِ والحليبِ والأرزّ والسُّكّر فأطاعَها في كلِّ ما قالَتْ، وذهب ليُصبِحَ طاهِياً. بعدَ قليل بدأ الملَلُ يتسرَّبُ إلى نفسِهِ فقال: الحليبُ لا يريدُ أن ينضَجَ!

ضَحِكَتِ **الأمُّ** وقالت: وهل تظنُّ أَنَّ الطّعامَ ينتهي بمجرَّدِ وضعِهِ على النّارِ؟ الطّاهي الماهرُ هو الطّبّاخُ الصَّبُورُ.

بعد قليلٍ خرجَ الأب والولدانِ إلى حيث الأمّ، فوجدوها تضحَكُ.

الأب: لماذا تضحكين؟

الأمُّ: لا لشيء. بعد قليل تعرِفون.

الأب: أين أحمدُ؟

الأمُّ: إنَّه في المطبخ. وضَحِكَت. ستأكلون بعد قليلٍ طعاماً شهِيّاً من عمل الطّاهي الكبيرِ أحمدَ.

اِنطَلَقَتِ التّعليقاتُ اللّطيفَةُ مِن جميعِ الأفواهِ، في حين كان أحمدُ يبتسمُ. بعد فترةٍ وجيزةٍ خرجَ أحمدُ يحملُ صينيّةً معدنيَّةً عليها الأواني المليئةُ بالمهلبيّةِ والملاعِقِ، فأخَذَ كلُّ واحدٍ حِصَّتَهُ وتريَّثُوا قليلاً حتّى يبرُدَ الحليب...

بعد انتهائِهِم من الطّعامِ تعاوَنَ جميل وسامي في غسلِ الصُّحُونِ

والملاعِقِ شعوراً منهما بأهمِّيَّةِ التّعاوُنِ فيما بينَ أفرادِ الأسرةِ.

أبو أحمد: ما رأيُكُم لو نمضي سهرة اللّيلَةِ بمشاهَدَةِ شريطٍ سينمائِيٍّ وثائِقِيٍّ ثمّ مناقشتِهِ لأنَّ أمَّكم ـ كما ترون ـ تَعِبَة قَليلةَ الكلامِ؟

* * * * * *

سامي: لا بأس، ولكنْ ما هو موضوعُ هذا الشّريط؟

الأبُ: إنَّه يتعلّقُ بعالمِ البحارِ.

سامي: يا سلام! إنّها أفلامٌ جميلةٌ جدّاً ومشوِّقة.

جميل: وترينا ما نجهلُ من مخلوقاتِ الله وعاداتِها وطريقةِ عيشِها.

أحمد: أجل؛ مضت فترةٌ لم نشاهِدْ فيها مثلَ هذه الأفلام، ولكن إنْ شاء الله تذهبُ أمّي غداً إلى الطَّبيبِ، إذا لم تتحسَّنْ حالُها.

* * * * * *

استيقظَتِ الأمُّ صباحاً وقد زالَ عنها أثرُ التَّعَبِ وعادَ إليها نشاطُها، فنهضتْ تستأنِفُ حياتَها كالمعتاد. وبالرَّغمِ من هذا راح الأولادُ يتنافسون في من يساعِدُها أكثرَ في أعمالِها المنزليَّةِ وجلْبِ ما تحتاجُه مِنَ السُّوقِ.

انتهتْ مِنْ عملِها بسُرعةٍ، وجَلَسَتْ ترتاحُ، فقد عاودها الشّحوبُ. فقال **سامي**: فلتذهبي إلى الطَّبيبِ يا أمّي لأنَّ التّعبَ ما زالَ بادياً عليكِ.

الأُمُّ: لا تخف، ليس بي شيءٌ، فجميعُ الحوامِلِ يُصَبْنَ بالإعياءِ خلالَ شهورِ الحمل الأولى.

صاحَ **الأولادُ** بسرور: أنتِ حامل!!

الأمّ: أجل.

أحمد: لقدِ ٱستجابَ الله دعاءَكِ!

جميل: ومتى كان ذلك؟

أحمد: أنسيت؟ عندما زرنا بيتَ الله الحرام في مكّة المكرّمة وٱعتمرنا!

الأُمُّ: مكّةُ أرضٌ مباركةٌ، والدّعاءُ فيها مستجابٌ.

وقد سمِعتُ بأنَّ مكّةَ هي مركزُ الأرضِ وتقع في مواجَهَةِ البيتِ المعمورِ، والملائكةُ تحفُّها بشكلٍ دائم.

أحمد: ما دامَ الأمرُ كذلك، فمِن واجِبِنا أن لا نُتْعِبَكِ بكَثرَةِ الطّلباتِ أو نرهِقَكِ بأعمالِ المنزِل. سنساعِدُك في كلِّ شيء، حتّى بعدَ عودَتِنا من المدرسة، ولا تخافي فلنْ يؤثّرَ ذلك في دراستِنا.

جميل: ولكنْ هل معنى هذا أنّك ستمتنِعِينَ عن سرد قَصصِ الأنبياءِ؟

الأُمُّ: لا، إلَّا إذا أحسستُ بالتَّعَبِ.

سامي: هل سنتابعُ اليومَ قصّةَ سيّدنا موسى؟

الأُمُّ: أجل، ولكنَّ سيرةَ سيّدِنا موسى عليه السلام متشعّبةٌ، فقد كانت حياتُه مليئةً بالحوادِثِ والمغامرات. إنَّه النّبيّ الأوفر حظّاً في القرآن. لقد وَرَد ٱسمُه فيه مئةً وسِتّاً وثلاثينَ مرةً في ستٍّ وثلاثينَ سورةً. ولو عرفنا أنَّ القرآنَ الكريمَ يتألَّفُ من مئةٍ وأربعة عشر سورةً، لعَلِمنا أنَّ هذا النّبيَّ الكريمَ يستحوذُ ذكره على حوالي رُبُعِ القرآن.

الأولاد: عليه وعلى نبيِّنا الصّلاةُ والسّلامُ.

جميل: ومعَ مَن كانت علاقاتُهُ؟

الأُمُّ: إنَّ حياةَ هذا النّبيِّ تنقسِمُ إلى قِسْمَيْنِ كبيرَيْنِ: القسمُ الّذي عاشَهُ قبلَ الرّسالة، والقسمُ الّذي عاشَهُ بعدَ الرّسالة. ولكنَّهُ في كلا

القِسْمَيْنِ كان يَحْمِلُ في نفسِه هُمومَ بني إسرائيلَ وكيفيّةَ تخليصِهِم مِن ظُلْمِ فرعَوْن مصرَ الظّالِمِ.

سامي: وبأيّ قصّة ستكون البداية؟

الأُمُّ: ستكونُ قصّةُ نشأتِهِ وشبابِهِ.

ثمَّ سكتت قليلاً: ولكن هل سنبدأُ بها الآن؟ إنّني ما زِلتُ متعبةً وأريدُ أخذَ قسطٍ مِنَ الرَّاحَةِ، وكذلك فقد حانَ موعدُ وُصولِ والِدِكم مِن عملِه.

أحمد: حسنٌ. الطّعامُ جاهِز ولله الحمد، ولا يلزمُهُ إلاَّ إعادةُ تسخين. سأقومُ أنا وإخوتي بهذا العمل، فلا تهتمّي لذلك وخذي قسطَك مِنَ الرّاحةِ. ونتابع القصّةَ إن شاءَ الله مساءً.

اجتمعتِ الأسرةُ ما عدا الأب مساءً في غرفَةِ المعيشة، الّتي ينسَوْنَ فيها البردَ بسبَبِ المِدفأَةِ الّتي يُبْقُونَها فيها أكثرَ من بقية الغرف، واْستَعَدّوا للاستماعِ إلى القصّةِ إلَّا أنَّ **سامي** فاجأهم بالسّؤالِ التّالي الّذي وجَّهه إلى أمّه: لقد ذكرتِ في القصّةِ السّابقةِ أنَّ الّذي كابدَهُ بنو إسرائيلَ على أيدي فِرعون مصرَ والأقباطِ، كان بسببِ تخلِّيهم عن منهَجِ الله تعالى. فماذا تقصدِينَ بهذه العبارة؟

الأُمُّ: المِنهاج هو شرْعُ الله الّذي أنزلَهُ لعبادِه لتبيين الحلالِ والحرام، أو الطّيّب والخبيث، أو اليُسر والعسر...[1] ويُقْصَدُ بالمِنهاجِ في اللّغةِ الطّريقُ الواضحُ السّهلُ[2].

وعلى هذا الأساس، فإنَّ المنهاجَ النّبويَّ في الدّعوة هو الطّريقُ الواضحُ السّهلُ الّذي سَلَكَه النّبيّ ﷺ في دعوتِهِ[3].

أحمد: ألهذِهِ الدّرجَةِ تبلُغُ أهمّيّةُ اتِّباعِ المَنهج!؟

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، **مناهج التربية الإسلامية والمربّون العاملون**، ص٧٥.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ص٦٧.

(٣) العيد، سليمان بن قاسم، **المنهاج النّبويّ في دعوة الشّباب**، الرّياض، دار العاصمة، ١٤١٥هـ، ص١١ ـ ٢٢ بتصرّف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأُمُّ: طبعاً، وإلّا فَسَيعمّ الفسادُ والخراب؛ وقد وَرَد في القرآن الكريم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، وإلاَّ فكيف تفسِّرُ لي تكاثرَ الأمراضِ والأوبئةِ المستعصيةِ على العِلاج اليوم، والتي لم تكن معروفةً سابقاً؟ ليس معنى كلامي أنَّ الأمراضَ لا تصيبُ الذين يطيعون الله ويتَّبعونَ منهجه، لكنّها حتماً تتفاقم بسببِ الفسادِ الّذي ينتجُ عن سلوكياتِ البشر.

وتعودُ أهمّيّةُ المنهاج وضرورةُ العملِ به إلى أمورٍ أهمُّها[1]:

١ ـ الاقْتداءُ بالنّبيّ ﷺ: فقد قالت السّيّدةُ عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلَت عنِ الرّسولِ عليه الصّلاة والسّلام: «كان خُلُقُهُ القرآن»، كما أنَّ الله تعالى أَمَرَنَا بالتَّأَسِّي بالنّبيِّ عليه السلام وإطاعَتِهِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢ ـ الاتِّباعُ للأمرِ: فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٣ ـ طلب محبّة الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤ ـ العصمةُ من الضّلالة: فقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنَّة نبيِّه**»[2].

٥ ـ العصمةُ مِنَ الخطأ: وكيف يخطئ شرعُ مَن خلق الخلقَ، فالله سبحانَهُ وتعالى هو الّذي خلقَ النّاسَ... وجميعَ المخلوقاتِ الحيَّةِ وغيرِ الحيّة... وهو يعلم ما ينفع النّاسَ وما يَضُرّهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

---

(١) العيد، سليمان، **المنهاج النّبويّ في دعوة الشّباب**، ص١١ ـ ٢٣ بتصرّف.

(٢) الموطأ (١٦١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦ ـ الشُّمُولُ: وذلك نعلَمُه ممّا رواه الصَّحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: «لقد تَرَكَنا محمّد ﷺ وما يحرِّك طائرٌ جناحيه في السّماءِ إلَّا أذكَرَنَا منه علماً»[١].

أحمد: تعلمين يا أميّ، لقد تخيَّلت وأنت تتكلّمين أنّ إنساناً اخترع آلةً ما، لا يعلمُ أحد شيئاً عن هذا الاختراع، فيتطوَّع هذا المخترعُ ويضَعُ كُتَيِّباً فيه طريقةُ تشغيلِ هذهِ الآلةِ، ولا يمكن لإنسانٍ تشغيلُها بدون اتِّباعِ المعلوماتِ الّتي وردت فيه كما لا يُمكنُ مُخالفتُها، وإلَّا تتعطّل الآلةُ وتتخرَّب.

الأُمُّ: تشبيهٌ صحيحٌ وجميلٌ.

ثمّ عقَّبَتْ: فكيفَ بنا نُخالِفُ كتابَ الله، دستورَهُ الّذي وَضَعَ فيه كلَّ ما يُصلِحُ أمورَ النّاسِ في حالِهم ومعاشِهِم؟

جميل: ولكنّني سمِعتُ زميلي يقول: كتاب الله ومنهاجه أوحى الله به إلى سيّدِنا محمّد ﷺ منذ زمنٍ طويل، منذ أكثرَ من ١٤٣٨ عاماً، وكان صالِحاً لذلك الوقت حيث النّاس كانوا يعيشونَ في جهلٍ وبداوَةٍ، أمّا اليومَ فقد صرْنَا متقدِّمينَ عِلميّاً وحضارِيّاً، لقَدِ اسْتَطَاعَ الإنسانُ اليومَ الوصولَ إلى أصغرِ ذرّةٍ في الكَوْنِ واختَرَقَ الأرضَ من أطرافِها؛ ووصَلَ إلى عِدَّةِ كواكِبَ أخرى غير الأرضِ؛ فكيفَ نُطَبِّقُ هذا الشّرعَ والمَنهَج؟ لقد صارَ قديماً ولا يصلُح لنا.

الأُمُّ (متعجبةً): ما هذا الكلام؟ وبماذا ردَدْتَ عليه؟ قل له، فأنتَ تتعلَّمُ دينَ ربِّكَ يوميّاً، وتسمعُ قَصَصَ الأنبياءِ، وتعرفُ كيفَ عاقبَ الله الّذين خرجوا على مَنهجِهِ، في حينِ أنّه كرَّمَ دَوْماً عبادَهُ الصّالِحينَ؟ هل نسيتَ كيف شرَحْنا الفرقَ بين الإيمانِ والإسلامِ[٢]؟!

إنَّ كلامَ الله أزليٌّ أبديٌّ دائِمٌ بدوامِ الله تعالى ولا يزولُ ولا يفنى،

---

(١) الإمام أحمد، المسند، ٥/١٥٣.

(٢) في قصّة سيّدنا شعيب عليه السلام، ص٣٤ ـ ٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو يصلُح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، فالله واحِدٌ ليس له شريكٌ، وكلامُه غيرُ قابلٍ للانتساخ والبِلى.

أحمد: ولكنَّ الواقعَ غيرُ ذلك. فأغلبيَّةُ النّاسِ اليومَ لا يُطَبِّقُونَ مَنهَجَ الله في حياتِهِم، ويقولونَ إنَّه لا يُمكِنُ تطبيقُهُ، بل يطبِّقُونَ مناهجَ من وضْعِهِم هُم.

الأُمُّ: إنَّ شرعَ الله ومنهَجَهُ المُنَزَّه عن كلِّ نَقْصٍ وعيبٍ وخطأ صالحٌ دوماً، فرسول الله أُرسِلَ إلى النّاسِ كافَّةً في كلِّ زمانٍ ومكانٍ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، أمّا المناهِجُ الوضْعيَّة فقد تتغيَّرُ وتتبدَّلُ وتَصلُحُ وتَفْسد لأنَّها مِن وضْعِ البَشَرِ المُتَغَيِّرين، الّذين قد يُصيبُونَ وقد يُخطِئونَ، وما يعتقدونه اليومَ صالِحاً، يتَّضِحُ لَهُم غداً أنَّهُ فاسِد.

هناكَ شيءٌ آخَر: مَنْ قال لك أنَّ النّاسَ كانوا يعيشونَ في جَهْلٍ وبداوة؟ لقد ثَبَتَ عِلميّاً أنَّ الأقدمينَ مِنَ الّذين غَضِبَ الله عليهِم ـ الّذين كانوا قبلَ رسالة سيّدِنا محمّدٍ ﷺ بآلافِ السِّنين، بل بمئاتِ الآلافِ ـ كانتْ لهم حضاراتُهُمُ المُتَطَوِّرَةُ الّتي كان بإمكانِها التَّفَوُّقُ على حضارتِنا الحاضرةِ الّتي نفتخِرُ بها ـ بل إنَّ هذه الحضارةَ تبدو قَزَماً حَقيراً أمامَ تلك الحضارات ـ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الروم: ٩]. وقال إنَّ مَنْ يعملْ عملَهُم فسيكونُ عقابُه كعقابِهِم: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ٦٩].

* * * * * *

وصَلَ الأبُ إلى البيتِ، فخفَّ الجميعُ لاستقبالِهِ، ثمّ هَرَعَ الأولادُ إلى المَطْبَخِ وجَهَّزُوا الطّعامَ رَيْثَما يغتسلُ ويبدِّلُ ثيابَهُ ويرتاحُ. بعد أنْ تمَّ تجهيز المائدةِ نادَوْا أبوَيهم، وٱجتمعوا على الطَّعامِ فقد كانوا حريصين على الأكلِ معاً، إتِّباعاً لسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ إذ قال: «**اِجتمِعوا على طعامِكُم، وٱذكُروا ٱسمَ الله عليهِ يبارَك لكُم فيه**»(١).

كان البِشْرُ والفَرَحُ بادِيَيْنِ على وجوهِ الجميعِ بسببِ حَمْلِ الأمّ، فقد كانوا يأكلونَ وهم يتخيَّلون كيف أنّهم سيزدادُونَ بعدَ بِضعةِ أشهرٍ، فقد كانت فِكرةُ وجودِ طِفلٍ صغيرٍ بينَهُم تستهويهِم، خصوصاً إذا كان الطِّفلُ بنتاً. وكان الأبُ أكثرَهم فرَحاً ومرَحاً.

فجأةً قالَ لَهُم: تعلَمونَ أنّي فَرِحٌ مثلَكم بسببِ الطِّفلِ المنتظَرِ. ولكنَّني فرحٌ أكثرَ لشيءٍ آخر، فقدِ ٱتَّصَلَ بي أهلي اليومَ وأعلموني بقربِ زيارَتِهِم لنا.

فرِحَ الأولادُ كثيراً وصاروا يُخَطِّطُونَ للأيَّامِ السعيدَةِ الّتي سيُمضونَها مع جدِّهم وجدَّتِهم.

لم يَتَمَتَّعوا بسَماعِ القِصَّةِ اليومَ بسببِ توعُّكِ أمِّهم، فناموا جميعاً مبكِّرين.

* * * * * *

جلستِ العائلة بعد ظُهرِ اليومِ التّالي في شرفةِ منزِلِهم المُطلَّةِ على الحديقَةِ ـ وهكذا فعلت طوال عطلةِ الفصل الأوّل ـ كانتِ الشّمسُ ساطعةً في ذلك اليومِ، وٱستطاعَتْ طردَ البردِ الّذي كان يغزُوهم منذُ عدَّةِ أيَّام، فقد كادَ يحِلّ فصلُ الشّتاءِ فصلُ العواصِفِ والصّقيعِ. وقد تخلّل جلستهم

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن وحشي بن حرب.

أداء الصّلوات في أوقاتها جماعة إلى أن حان وقت نومهم عشاءاً.

اِبتدأَ **سامي** الكلامَ: أرجو منكِ يا أمي أن تفسِّري كلَّ ما تقولينَ حتّى أواكِبَكم في الفَهم. فهناك بعضُ التّعابيرِ تُغلِق[1] عليَّ.

الأُمُّ: وما الّذي لم تفهَمْه؟

سامي: عندما كنتِ تَقُصِّينَ السَّبَبَ الّذي من أجلِهِ تغيَّرَت أحوالُ الإسرائيليِّين مِنَ التّكريم والتّعزيزِ إلى الإذلالِ والاستعبادِ، (إنّهم كانوا يفرُقون مِنَ الموتِ، وإنَّ هذه هي حالُنا اليوم). فما معنى يَفرُقون؟

الأُمُّ: يَفرُقونَ تعني يَخافُون خَوْفاً شديداً. فالله سبحانه وتعالى عندما خلقَ آدمَ وذريَّتَهُ حدَّدَ لهم زَمَناً معيَّناً يَحيَوْنه على هذه الأرضِ، وعندما ينقضي الأجلُ سوفَ يَموتونَ. جميعُ النّاسِ يعلمونَ يقيناً أنَّهم سيموتون، ولكنَّ المؤمنينَ يَتَقَبَّلُون هذه الفِكرَةَ بفرحٍ وشوقٍ للقاءِ ما أعدَّ الله لهم في جنَّاتِ النّعيم، أمّا الّذينَ فتَنَهُمُ الشّيطانُ وأحبّوا الدُّنيا ـ ولا أقول إنَّهم كافرونَ ـ فإنَّهُمْ يخافونَ المَوتَ لئلَّا يخسروا نعيمَ الدّنيا وبهجَتَهَا، لقد نسَوْا أنَّ نعيمَ الدُّنيا زائلٌ، أمّا النَّعيمُ الحقيقيّ فهو الّذي سيتوفَّرُ لهم في الجَنَّةِ.

وقد أَنذرَنا سيّدُنا محمّدٌ ﷺ بهذِهِ العاقبَةِ إذا فعلنا كبني إسرائيلَ في الحديثِ الّذي رواهُ الصّحابيُّ ثوبان بنُ بُجدُد: «**يوشِكُ أن تداعى عليكُمُ الأممُ من كلِّ أفقٍ، كما تداعى الأَكَلَةُ على قصعَتِها**» قلنا: يا رسولَ الله فمن قِلَّةٍ بنا يومئذٍ؟ قال: «**لا، لكنَّكم غثاءٌ كغثاءِ السَّيلِ، يجعل الوهن في قلوبِكم، وينتزع المهابةَ من قلوبِ عدُوِّكم لحبِّكم الدّنيا وكراهتِكم الموت**»[2].

جميل: هذا يعني أنَّ الله سبحانَهُ وتعالى عاقَبَنَا، فأزالَ عنَّا القُوَّة الّتي

(١) تغلِق عليّ: يصعب عليّ فهمها.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والطبراني...

تمتَّعَ بها آباؤُنا وأجدادُنا المسلمونَ الأوائلُ الذين تمكَّنوا مِن فَتْح الكثيرِ من بلدانِ العالمِ القديمِ بفضلِ تمسُّكِهِم بدينِهِم وتفانِيهم في طَلَبِ الموتِ في ساحاتِ الوغى لأنّهم كانوا يعتبرونَهُ ٱستشهاداً يُدخِلُهُمُ الجنّةَ، ويعني أيضاً أنّنا اليومَ نسينا هذا الدينَ وهذا الحبَّ للموتِ، واستَعَضْنا عنه بحبِّ الدُّنيا وطلبِ المعالي مِن كلِّ الطُّرُقِ والسُّبُلِ إلَّا سبيلَ الدِّينِ، فإذا عُدْنا إلى ما كان عليه آباؤنا وأجدادُنا، عادَتْ إلينا عِزَّتُنا ومهابَتُنا في قلوبِ أعدائِنا؟

أحمد: هذا صحيح. وقد كانَ مِنَ الأمثالِ الّتي تمسَّكَ بها المسلِمونَ الأوائِلُ: «اطْلُبِ الموتَ تُوهَبْ لكَ الحياةُ»، فالشَّهيدُ حيٌّ لا يموتُ، هو يَظَلُّ حيّاً عند ربِّهِ يُرزق التّكريمَ والتّنعيمَ، وهذا ما أقرَّهُ دينُنا الحنيفُ في كتابِ الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

جميل: هل سيطولُ الشّرحُ؟ أنا على أحرّ من الجمرِ لمعرفَةِ ما جرى لسيِّدِنا موسى عليه السلام بعد أن ربَّاه فرعون في قصرِهِ.

الأمّ: لقد بلغَ موسى أشُدَّه واستوى في قصر فرعون. ومعنى «استوى» استقامتْ حياتُه، واعتدلتْ شخصيّتُه، واستقرَّتْ صفاتُه وأخلاقُه، وتميَّز كيانه، وعُرِفَ بين النَّاس بأنَّه ليسَ مثل فرعون، ولا مثل آل فرعون ورجالِ القصرِ. عُرِفَ بين النّاس بأخلاقِه وصفاتِه، عُرِفَ بينهم بعزّتِه وكرامتِه، وسماحتِه ونَخْوَتِه، وعدْلِه وبرِّه، وعلمِه وحكمتِه.

عند ذلك صار مؤهّلاً لتلقّي كرم الله عليه، فآتاه الله العلمَ والحكمةَ، فحلّ العلم والحكمة على شخصيّتِه السويَّةِ، وكيانِه المستقيم، وتعاملَ مع الآخرينَ بمنطقِ العلمِ والحكمةِ، وكانَ محبوباً بينهم، وملجأً للضُّعفاءِ والمظلومينَ منهم، يفزَعون إليه، ويحتمون به[1].

أحمد: هل هذا دليلٌ من قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٩]؛ وقول الله تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١].

الأب: نعم؛ صنع الله موسى على عينه، وأدامَ عليه رعايتَهُ وعنايتَهُ، وعصمَهُ وهو في قصرِ فرعون، فنشأَ عند أعتى كافرٍ نشأةً إيمانيةً. نشأ رجلاً ربَّانياً، واتَّصفَ بالصِّفات الكريمةِ والأخلاقِ الحكيمةِ(١).

الأمّ: ولقد ذكرَ الله ﷻ في سورة القَصَصِ قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا يعني أنَّ الاصطناعَ الرّبّانيَّ، والرعاية الإلٰهية لازمته حتَّى بلغ أشُدَّه واستوى، عند ذلك آتاه الله الحكم والعلم(٢).

جميل: هل هذا يعني أنّ من المبهماتِ السّكوتَ عمّا حدث لوالدَيْهِ؟

الأمّ: نعم؛ لا نعرفُ ما حدث، سكتتِ المصادرُ اليقينيّةُ ـ الآياتُ والأحاديثُ الصّحيحةُ ـ عن والديّ موسى بعدما عادَ إلى فرعون. فأبوه «عمران» لم نعلمْ عنه شيئاً أساساً. وأختُه اللّبيبةُ الذّكيَّةُ، انتهى دورها عندما اقترحتْ على فرعونَ وآلِهِ الإتيان بمرضعٍ له، حيثُ أتتْ بأمِّها، ولا نعرفُ عنها شيئاً بعد ذلك.

وأمُّه انتهى دورها بانتهاءِ حضانتِها له، وإرضاعِه ثمّ فطامِه، وإعادتِه إلى فرعون، ولا نعرفُ عنها شيئاً بعد ذلك(٣).

أحمد: هل تقصدينَ أنَّ الآية ١٤ في سورةِ القَصَصِ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾(٤)، أيضاً آيةٌ مبهمةٌ!؟ فهي لم تتحدَّثْ عن طفولةِ وشبابِ موسى عليه السلام في قصرِ فرعونَ(٥).

الأبُ: أحسنتَ بُنيَّ، بدأتَ بتدبُّرِ الآياتِ ومعرفةِ المبهماتِ من

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٠٩.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠٩.
(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٠٨.
(٤) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.
(٥) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٠٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القَصصِ، فلا ترويها، باركَ الله بكَ وبأخويكَ.

الأمّ: تبتسمُ ابتسامةَ فخرٍ بأولادها مع الدّعاءِ بأنْ يرزقَها الله ﷻ الذّريَّة الصَّالحةَ.

جميل: نشأ في القصرِ... مثل يوسف عليه السلام حينما نشأَ في قصرِ العزيزِ!!

الأب: نعم؛ وهذا يدلُّ على أنّ يوسف عليه السلام لم تفسده تربيتُه في القصرِ، فنستنتجُ أيضاً أنّ موسى عليه السلام بقي في حفظِ الله ورعايتِه له، ولم تفسدْ حياةُ القصرِ الشّاب موسى عليه السلام ـ ابن فرعون بالتّبنّي ـ كما أنَّ ظلم وطغيان فرعون لم يمتدْ إلى متبنّاه موسى.

سامي: وماذا بعدَ ذلكَ! انتهينا من أنَّه لم يفسد.....

الجميعُ بسرورٍ وابتسامةٍ على الوجهِ دالّةٌ على فرحِ الجميعِ بأنَّ سامي أصغَرهم قد شدَّهُ الانتباهُ إلى معنى الفسادِ في القصرِ.

الأبُ: متابعاً ما بدأه: وقفنا إلى أنَّ موسى عليه السلام تربّى في قصرِ فرعون ولم تفسدْه حياةُ القصرِ مثلَ ما حدثَ معَ سيِّدِنا يوسفَ عليه السلام مع الفارقِ أنَّ سيّدنا يوسف عليه السلام حينما اشتراه عزيزُ مصرَ كانَ فتًى حينما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى...﴾.

أحمد: هل أكملُ الآيات يا أبي.

الأب: لا بأس نراجعُ سويّاً الآيات.

أحمد: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا

بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢١ ـ ٢٢].

الأب: هل لاحظتمُ الفرقَ بينَ موسى الوليدِ الّذي اتخذتْهُ امرأةُ فرعونَ حينما قالتْ: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩].

الأمّ: سبحانَ الله لم ألتفتْ لهذه المعاني من آياتِ الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ لا إله إلَّا الله ... نفسُ الآيةِ واحدةٌ قالها العزيزُ والثّانيةُ امرأةُ فرعون، الأولى: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ وحدث ما حدثَ مع يوسف عليه السلام. والثّانيةُ: امرأةُ فرعون الّتي قالتْ: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ فكانَ لها فعلاً قرَّة عينٍ لها... وسنعرفُ هذا السّبب لاحقاً...

الأب: نعم؛ سنعرف معنى ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ حيثُ رغّبت امرأةُ فرعونَ زوجَها في المحافظةِ على موسى وتقولُ لا تقتلوه وتطلبُ الاحتفاظَ به ليكونَ لهمُ ابناً... هذا هو تقديرُ الله عزّ وجلّ...

نَشّأَ الله موسى تنشِئةً خاصّةً، وصنعَ صنيعه على عينه، وأَدَامَ رعايتَه له وعنايتَه به، وعصمَه من الفاحشة في قصرِ فرعون، فنشأَ عند أعتى كافرٍ نشأةً إيمانيّةً، نشأ رجلاً ربَّانيّاً، واتَّصف بالصّفاتِ الكريمةِ، والأخلاقِ الحميدةِ[1].

جميل: وهل ظلّ في القصر، مع علمه بكفر فرعون، حتَّى بلغَ الأربعينَ؟ مع أنَّنا أخذنا سورةَ الأحقافِ وحفظتُها؛ وفيها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الأب: نعم؛ باركَ الله بكَ بنيّ وفتحَ عليكَ فتوحَ الرّاسخينَ في

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٠٩ بتصرّف.

العلمِ.

هلّل سامي وأحمد إعجاباً بأخيهم جميل؛ كما أبدتِ الأمُّ الفخرَ به وقبَّلته.

الأب: نعم؛ في هذه الآية تنبيهٌ أنّ الإنسانَ إذا بلغَ هذه المرحلة من العمر يقوى عوده وتكتمل صفاته الخَلقية والخُلُقيّة.

ولقد بلغَ موسى أشُدَّه في قصرِ فرعونَ واستوى ـ كما قلنا سابقاً ـ ومعنى «استوى» استقامت حياته، واعتدلت شخصيّته، واستقرّتَ صفاته وأخلاقه، وتميّز كيانه، وعرف بين النّاس بأنّه ليس مثل فرعون، ولا مثل آل فرعون ورجال القصر. عرف بين النّاس بأخلاقه، عرف بينهم بعزّته وكرامته، وسماحته ونخوته، وعدله وبرّه، وعلمه وحكمته[1].

عند ذلك صار مؤهّلاً لتلقّي كرم الله ﷻ عليه، فآتاه الله العلم والحكمة، فحلَّ العلمُ والحكمةُ على شخصيّته السّويّة، وكيانهِ المستقيم وتعامل مع الآخرين بمنطق العلم والحكمة، وكان محبوباً بينهم، وملجأً للضّعفاء والمظلومين منهم، يفزعون إليه ويحتمون به[2].

أحمد: هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: ١٤].

الأب: نعم؛ وقد سكتَ القرآنُ والحديثُ الصّحيحُ عن الفترةِ ما بينَ طفولةِ موسى وشبابِه في قصرِ فرعون، . . . (هذا جوابُ سؤالكَ يا جميلٌ الظّاهرُ في عينيكَ) ألا تقصدُ ذلك؟

جميل: نعم؛ ولكنْ كيف عرفتَ ذلك؟

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٠٩.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٠.

الأب: هذا من فضلِ ربِّي وهبني هذه الميزة؛ بالتّأكيدِ لا يستطيعُ الجميعُ قراءةَ تلكَ الأسئلة المكتوبة في العيونِ، ولنْ نسترسلَ في هذا الموضوعِ الآن، ما يهمُّنا الآن هل أجبتُ عن سؤالك؟

جميل: مع ابتسامةٍ عريضةٍ... نعم؛ أجبت.

يتابعُ **الأب** حديثه: فالفترةُ ما بينَ طفولة موسى عليه السلام شابّاً وتعرّف على أصلِه الإسرائيليّ، وعرفَ قصَّته مع فرعون؛ وكيف تبنَّاه، ثمّ أعادَه إلى أمِّه. وعايشَ ظلمَ الفراعنةِ لقومه بني إسرائيلَ، وآلمه هذا الظّلم... وانحازَ إلى شيعته الإسرائيليِّين.

وإن سألتمْ كيف عرفتُ ذلك هي في سورةِ القَصَصِ حينما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[1] [القصص: ١٥].

الأمُّ توضِّح كيفَ عرفَ أبو أحمد هذه المعلومة: تدلُّ هذه الآية أنَّ موسى يعلمُ أنّه إسرائيليّ: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾: بني إسرائيل (أولاد يعقوب عليه السلام)، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: هم آل فرعون.

الأب: نعم؛ ألمْ نقل إنَّنا لا نعودُ إلَّا إلى مصدرين.

سامي مسرعاً يجيب: القرآنُ الكريمُ... والحديثُ... أليسَ كذلك.

الأب: نعم؛ دخلَ موسى عليه السلام المدينةَ وقتَ الظَّهيرة، والمدينةُ هنا ـ يُقصَدُ بها مقرُّ فرعون ـ أي: عاصِمةُ مصرَ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾ [القصص: ١٥]، وعندَ دُخولِهِ شاهَد رَجُلَيْنِ يقتتلانِ، والاقتتالُ

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١١ بتصرّف.

هو معركةُ الشَّيطانِ، فالشّيطانُ يُحِبُّ أنْ يَتواصلَ الاقتتالُ بين البَشَرِ ليَدْخلوا جهنَّمَ ويُحرَموا مِنَ الجَنَّةِ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥].

عندما دخلَ موسى عليه السلام المدينةَ وشاهدَ الرَّجلينِ يقتتلانِ في ذلكَ الشَّارعِ، والنَّاسُ في بيوتِهم ـ ونظرَ فيهما ليتعرَّفَ عليهما ـ لقد كانَ أحدهمَا (من شيعتِه)، أي: من قومِ موسى وهمْ بنو إسرائيل، وكانَ الآخرُ قبطيّاً فرعونياً: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾.

واقتربَ موسى منَ الرَّجلينِ المتقاتليْنِ، وشاهدَ ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ موسى قادماً، وأنّه ينصرُ قومَه المظلومينَ فاستغاثَه واستنجدَ بهِ واستنصرَه ليساعدَه على القبطيِّ، ويدفعُ عدوانَ القبطيِّ عنه: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] سمع موسى الاستغاثة... توجَّه إليهما: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾... وكزَه ـ وفتحَ الأبُ يده وقالَ: هكذا بجميعِ الكفِّ ـ...

وكانتْ وكزةُ موسى قاتِلةً للقبطيِّ وكانت ضربةً قاضيةً قضتْ عليه(١).

صرخَ **أحمدُ** صرخةً مكتومةً تعجُّباً: قَتَلَهُ بمجرَّدِ لَكْمَةٍ بَسيْطَةٍ بيدِهِ؟

أمُّ أحمد: لم يكُنْ يعلَمُ أَنَّ أَجَلَهُ قدِ ٱنْتَهى في هذه اللّحظَةِ، وٱعتَقَدَ أنَّه يدافِعُ عنِ ٱبنِ قومِهِ وَدِيْنِهِ ويُبْعِدُ عنهُ العدوّ، لكنّه فوجِىءَ ـ كما فوجئتَ أنتَ ـ بموتِ القبطيّ(٢).

ثابَ سيّدُنا مُوسى إلى رُشْدِه(٣) قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥]، ثمّ ٱعترَفَ بِذَنْبِهِ وٱستغفرَ رَبَّهُ وعاهَدَهُ أَنْ لا

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٣ ـ ٣١٤، بتصرّف.
(٢) عن ابن كثير في تفسيره: «وقال قتادة: وكزه بعصا كانت معه فقضى عليه».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَسْتَعْمِل قُوَّتَهُ لنُصرَةِ الظّالمينَ ومساعَدَةِ المُفْسِدينَ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٦ ـ ١٧].

لقد تاب سيِّدُنا موسى توبةً نَصُوحاً، وهذه التّوبةُ هي الّتي تبدأُ بالاعتِرافِ بالخَطأ والنَّدم على ٱرتِكابِه والتَّصمِيم على عَدَم الإقدام عليه مرّةً ثانيةً ثمّ الاستغفارِ والتَّوْبَةِ، لهذا قَبِلَ الله تعالى ٱستِغفارَهُ وَغَفَرَ له بسرعة. وهذا ما نلاحظه مِنْ خِلالِ الآيةِ الكَريمةِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦]. والله سُبْحانَهُ وتعالى مَوْصوفٌ بالرَّحْمَةِ فهو الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ، وهو الغفورُ ذو الرَّحمة، وهو الغفور الرَّحيمُ. فقد قَرَنَ تعالى غُفرانَهُ برحْمتِه، فيَغْفِرُ ويَرْحَمُ.

أحمد: أليسَ هذا هو ما فَعَلَهُ أبونا آدمُ وأمُّنا حوّاءُ عندما ٱرتكبا خطيئَتَهما الّتي أَغْضَبَتِ الله منهُما وطَرَدَهُما بِسَبَبِها مِنَ الجَنَّةِ، فقدِ ٱعْتَرَفا بِخَطَئِهِما وٱسْتَغفرا فغفر ربُّهما لهما: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

جميل: وكذلك سيّدُنا يونُس عندما ٱرتَكَبَ خطيْئَتَهُ بِتَرْكِهِ قومَه دُونَ إذنِ الله تعالى وٱبْتَلَعَهُ الحوتُ، أحسَّ بخطيئَتِهِ فٱعْترفَ بها ونَدِمَ عليها وسبَّح ربَّه ومجَّدَهُ فقال: ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فَغَفَرَ الله له وقال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

يكمل **جميل**: وكذلك الحديث الّذي رواهُ ابنُ عبّاسٍ ﷺ قال: «لا كبيرةَ مَعَ الاسْتِغفار ولا صَغيرَةَ مَعَ الاستِكبارِ». هو حديثٌ مُهِمّ يَحُثُّ الإنسانَ على الاسْتِغفار، وهذا ما كان يدعو سيدُنا نوحٌ قومَهُ لِيَفْعلوهُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح:

(١) ثاب إلى رشده: انتبه لنفسه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠ ـ ١١].

سامي: هذا يعني أنّ الإنسانَ إذا ٱرتَكَبَ خطيئةً ـ مهما بَلَغَ خَطَرُها ـ فإنّ الله يغفِرُ له إذا استغفَره؟

الأمّ: هذا صحيحٌ، على أَنْ تكونَ توبةً نصوحاً.

سامي: وماذا تقصِدينَ بالتَّوبَةِ النّصوحِ؟

الأمّ: هي رجوعُ العبدِ إلى الله سبحانَهُ لا شريكَ لهُ مِن ذنبٍ سَبَقَ اقترافُهُ قَصْداً أو جَهلاً رُجوعاً صادقاً[(١)]... هذه التَّوبَةُ إذا تمسَّك بها الإنسانُ تَقودُه إلى رِضى الله ورِضوانِه، وهي الّتي أَمَرَنا بها الله في مُحكَمِ تنزيلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وكذلك رسول الله ﷺ ـ وهو قُدْوتُنا ـ كان يَتُوبُ في اليَوْم مِائةَ مَرّةٍ مَعَ أَنَّ الله غَفَرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأَخَّرَ: «**يا أيُّها النّاسُ توبوا إلى الله فإنّي أتوبُ إلى الله في اليَوْمِ مائةَ مَرّةٍ**»[(٢)].

جميل: إذا كَثُرَتْ أخطاءُ الإنسانِ وعَظُمَتْ، ثمّ ٱسْتَغفر وأَعْلَنَ توبَتَهُ فهل يسامِحُهُ الله؟

الأمّ: طَبْعاً. لقد قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزّمر: ٥٣]. وقد أَفَضْنا في هذا الحديثِ مُسْبَقاً؛ وقُلْنَا أنَّ الله سُبْحانَهُ وتعالى مِن أسمائِهِ الرّحمٰنُ الرّحيمُ، والغفورُ الكريمُ، وقلنا أن رَحْمَتَهُ وَسِعَت كلَّ شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧]، ولكنْ ما لا يَغفِرُه الله لِعِبادِهِ الكُفر بِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٢].

ثمّ عقَّبَتِ الأُمُّ على كلامِها: إنّ الله رحيمٌ بعبادِهِ، وهو لم يَخْلِقْهم

---

(١) الهلاليّ، سليم، **التّوبة النّصوح**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ص١٠.

(٢) البخاريّ، **الأدب المفرد**، ص٩٢ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليُعذّبَهم، ولكنْ لِيُقيموا شَرْعَهُ وينظُروا في خَلْقِه وَيَتَفَكَّروا بعظَمَتِهِ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]. ومِنْ رَحْمتِه أنّه فَتَح لنا بابَ الاِسْتغفارِ، ولن يُغْلِقَهُ حتّى تُشْرِقَ الشّمسُ مِن مغربها. فعَن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ مِن قِبَلِ المَغرِبِ لباباً مسيرةُ عرضِهِ أربعونَ عاماً أو سبعونَ سنةً فَتَحَهُ الله ﷻ للتَّوْبَةِ يومَ خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ فلا يُغْلِقُهُ حتّى تَطْلُعَ الشّمس منه**»[(١)].

سامي: الشَّمسُ تُشْرِقُ مِنَ المَغرِبِ؟ كيف هذا؟ إنّها تُشْرِقُ مِنَ المَشْرِقِ.

الأمّ: إنّ هذا الشروقَ هو مِن علاماتِ السّاعة، أي: مِنْ علاماتِ ٱقترابِ يومِ القيامَةِ، وهذا سأُعْلِمُكم به في قِصّةٍ أخرى.

سكتَ **سامي** وأكملَتِ **الأمُّ**: ومن حكمةِ الله ورَحمتِهِ أنَّهُ أَوْجَدَ مُكَفِّراتٍ للذُّنوبِ منها:

١ ـ التّوبةُ والاستغفارُ: فإذا وقع الإنسانُ في الإثم وأرادَ أن يتوبَ، عليه ـ أوّلاً ـ الاِعترافُ بذنبِهِ والنَّدَمُ عليه.

٢ ـ الاستغفارُ والعزمُ على عَدَمِ العودة إليه: وهذه التّوبة هي فرضُ عينٍ على كلّ مُسلمٍ[(٢)]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

٣ ـ إذا أساءَ الإنسانُ أو أَذْنَبَ ووقع في الإثم وندِمَ، عليه أن يُتْبِعَهُ بِعَمَلٍ صالِح لِيَغفِرَ الله له؛ والعملُ الصّالِحُ هو الّذي يقومُ بِهِ العبدُ خالِصاً

(١) رواه التّرمذيّ: حديث حسن صحيح.
(٢) الهلاليّ، سليم، **التّوبة النّصوح**، ص١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لوجهِ الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

٤ ـ الابتلاءُ: إنّ الله إذا أحبَّ عَبْدَهُ ٱبْتلاهُ بالمصائِبِ من أمراضٍ ومَوْتٍ ونَقْصٍ في الأَموال والأرزاق: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]. وهذا ما حَدَثَ لنبيِّ الله أيّوب عليه السلام.

٥ ـ سَكَراتُ المَوتِ: ولِأَنّ كلّ إنسانٍ خطّاء، وخيرُ الخطّائينَ التّوابونَ، ولأنّ الله يُحِبّ التّوابين، لذا فهو قَدْ يَبْتَليهِم بأنواعِ الابْتلاءِ حتّى يُكَفِّرَ ذنوبَهم فيموتوا ولَيْسَ عليهم ذَنْبٌ. ولا يجوزُ لنا الاعتقادُ أنَّ الله سبحانَه وتعالى يكرَهُ عَبْدَهُ فلاناً الّذي كُنّا نَعتَقِدُ أنّه صالِحٌ فنقول: لو كانَ صالِحاً لما نَزَل عليه البَلاءُ. هذا خطأٌ فادحٌ، فرسولُ الله ﷺ قال: «**أشدُّ النّاسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرّجل على حَسَبِ دينِهِ، فإن كان في دينهِ صُلْباً اشتَدَّ بلاؤه، وإن كانَ في دِيْنِه رقّةٌ ابتُلِيَ على قَدَرِ دِينِه، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتّى يترُكَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ**»[(١)]. والله سبحانه وتعالى أرحَمُ مِنْ أن يَجْمَعَ عذابينِ على عَبْدِه: عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرةِ.

فإذا ماتَ العبدُ، وما يزالُ لَدَيْهِ ذنوبٌ كثيرةٌ، فالصّلاةُ عليه (صلاةُ الجنازةِ، ودعاءُ الصّالحينَ له بالمغفرة والرَّحْمَةِ ـ حتّى بَعْدَ مماتِهِ ـ تُكَفِّرُ لَهُ أيضاً). وهذا ما أَخْبَرَنا بهِ سيّدُنا محمّدٌ ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عملُه إلاّ من ثلاثٍ: صَدَقَةٌ جارِيَةٌ أو عِلْمٌ ينتفعُ به، أو ولدٌ صالح يدعو له**»[(٢)].

أحمد: وإذا ماتَ ولم يكنْ له ولدٌ، أو كانَ ولدُه غير صالح؟

---

(١) رواه أحمد، ١٥٣ و١٥٨ و١٧٧ و٢٣٦، والتّرمذيّ (١٩٨٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

الأمّ: ليسَ مِنَ الضّروريّ أنْ يكونَ الولدُ ابنَه الّذي أَنجَبَهُ هو، ولكنْ قد يكونُ إنساناً غريباً عنه: طالبٌ كان يدرُسُ عنده مثلاً، أو إنسانٌ صالِحٌ كان يُحِبُّه.

جميل: وماذا تعنين بالصَّدقة الجاريةِ؟

الأمّ: هي إمّا أن يبنيَ مسجداً، أو مدرسةً، أو مستشفًى، أو مستوصَفاً أو أنْ يَقِفَ مالاً لِمَعونَةِ الفُقَراءِ والمحتاجين، أو أن يحفِرَ بئرَ ماءٍ ويجعلَهُ سبيلاً لكلّ عطشانٍ... وهناك أشياءُ كثيرةٌ يستطيعُ الإنسانُ ٱبْتِكارَها إن لم تَكُنْ موجودةً مِنْ قبلُ.

سامي: والعِلْمُ الّذي يُنْتَفَعُ بِه، هل هو إنشاءُ مكتبةٍ عامّةٍ مثلاً؟

الأمّ: هذه تَنْتَمي إلى الصَّدَقَةِ الجارِيَةِ. ولكنّ العِلمَ هو أن يَبْتَكِرَ عِلماً لم يكن موجوداً، أو يكتَشِفَ دواءً لِمَرَضٍ خطيرٍ، أو يؤلِّفَ كتاباً عِلميّاً أو دينيّاً...

وتابَعَتْ سردَ أنواعِ المُكَفّراتِ للذّنوبِ، ثمّ قالت: ويأتي بعد ذلك عذابُ القبر...

قاطعها **سامي**: وهل يعذَّب المَيّتُ في القبر؟

الأمّ: هذا أيضاً سأشرحُه في قِصّةٍ أخرى، ولكنِ الآنَ سأذكّركم بما أخبرتُكم به في قِصّةِ «خلق الملائكة»، لقد أخبرْتكم أنّ هناك ملائكةً معيَّنينَ لهُم وظائفُ محدّدةٌ ... ومنهم مُنكَرٌ ونكيرٌ اللَّذانِ يأتِيان إلى المَيّتِ بعد دَفْنِهِ مباشَرَةً وقَبْلَ رحيلِ أهلِهِ والمُشَيِّعينَ؛ فإذا كان المَيّتُ كافِراً يأتيانِه بشكلٍ مُخيفٍ، أمّا إذا كان مؤمِناً فيأتيانه بشكلٍ جميلٍ.

أحمد: وهل بقيَ هناك مكفِّراتٍ للذنوبِ؟

الأمّ: أجل؛ فهناك هَوْلُ المطلعِ، أي: هولُ يوم القيامة، وشفاعةُ

المُتَشَفّعين وخصوصاً شفاعةُ سيّدِنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وأخيراً تأتي رَحْمَةُ الله تعالى يرحَمُ بها مَن كان في قلبِهِ ذرّةٌ من إيمان.

أحمد: إنَّ إمامَ المسجِدِ حدّثنا أنَّ النّبيّ ﷺ قال: «**لمّا قضى الله الخَلْقَ كَتَبَ عندَهُ فوق عرشِهِ: إنَّ رحمتي سبقتْ غضبي**»(١).

جميل: وقال أيضاً: «**ما يصيبُ المسلمُ مِن نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ، ولا أذىً، ولا غَمٍّ، حتّى الشَّوْكَةَ يُشاكُها إلاَّ كفّر الله بها خطاياه**»(٢).

الأمّ: كم أنا فخورةٌ بكم! فها أنتم تحفَظون القَصصَ والأحاديثَ الّتي تسمعونَها.

سامي: نشكُرُكِ يا أمي. وماذا حدثَ بعد ذلكَ لسيِّدنا موسى؟

الأب: وماذا تريد أن يحدث؟ الواقعُ أنّه قتل رجلاً قِبطيّاً، ولم يقصدْ قتلَه، ولمْ يخطِّطْ لذلك ولم يتعمَّده، وكلّ ما فعله هو ردعه عن ظلمِ الإسرائيليّ، وإيقاف عدوانَه عليه، وموسى في هذه المرحلةِ لم يكنْ نبيّاً، لأنّ نبوّتَه وبعثتَه جاءت بعد ذلكَ، ولكنَّه في حفظِ الله ورعايتِه وعنايتِه، ومعنى هذا أنّه لم يكن مخطئاً ولا مذنباً ولا جانياً في قتله للقبطيِّ(٣)....

الأمّ: أتفسِّر ذلك لتقولَ أنَّ الأنبياءَ معصومون عن الذّنبِ والمعصيةِ والخطأ والجنايةِ قبلَ النّبوّةِ وبعدَها؟؟؟

الأب: كلُّ ما في الأمرِ أنَّهم قد يقولونَ قولاً أو يعملون عملاً، مخالفاً لما هو الأفضل، ولا يكونُ خطأً أو معصيةً، فيرشدهم الله إلى ما هو أولى، عندما يعاتُبهم على ذلك(٤).

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١)، ورواه الإمام أحمد.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه (٥٦٤١) (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدريّ وأبي هريرة معاً.

(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاف سيّدُنا موسى عليه السلام وٱرْتَعَبَ وَخَشِيَ على نفسِهِ، وصارت نفسُهُ تَزِيدُ مِن خَوْفِهِ ـ لاسيّما وأنّه إنسانٌ عاطفيّ سريعُ التّأثُّرِ ـ يَفرحُ بسرعةٍ ويغضَبُ بسرعةٍ؛ يخافُ بسرعةٍ ويَطْمَئِنُّ بسرعةٍ أيضاً. لقد فَكَّرَ بشكلٍ سريع جدّاً، وتأكَّد أَنَّ الخَبَرَ سينتَشِرُ بسرعةٍ وسَيَعْلَمُ الجميعُ أنّ موسى قاتِلٌ مُجرِمٌ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا...﴾ [القصص: ١٨].

وكانَ في الصباحِ يترقّب في المدينةِ، لِيَعْلَمَ إن كان يلاحِقُهُ أحدٌ، أو يعرف أحدٌ أنّه هو القاتلُ، وبذلكَ يأخذه جنودُ فرعون ويقتلونَه.

أحمد: هل معنى يترقّبُ، أي: كان حذراً يتلفَّتُ يمنةً ويسرةً؟

الأب: نعم؛ كانَ موسى يسيرُ في المدينةِ على هذه الهيئةِ خوفاً وترقّباً وحذراً وخشية من أن يُقبض عليه.

الأمّ: إن كان خائفاً فهو خائفٌ منْ معرفةِ آلِ فرعونَ أنَّه قتل الفرعونيّ، والخوفُ الثّاني منَ الّذي استنصرَه فهو شاهدٌ على قتلِ موسى عليه السلام لهذا القبطيِّ. فخوفه شديدٌ وهذا ما بيَّنته الآياتُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فهذا ما كان يخاف منه، استنجدَه مرّةً ثانية.

أحمد: سبحان الله ذكر القرآنُ في هذه الآياتِ عن استنجادِ الإسرائيليِّ به بألفاظٍ ثلاثةٍ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ و﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾ و﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فما الفرق بينها؟

الأب: إنّه الاستنصار والاستصراخ، وإنّها الاستغاثة، وجَرْسُ الأفعالِ الثلاثةِ وحروفها تدلُّ على الحالة الّتي كانَ يمرُّ بها ذلك الإسرائيليّ، من ظلمِ القبطيِّين له وعدوانهم عليه، ممَّا دعاه إلى أن يستنجد بموسى ويستنصره ويستصرخه[1].

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمّ: أي الأصل: الاستغاثة؛ وتمّت هذه الاستغاثة بالمناداة لموسى كي ينصر الإسرائيليّ.

الأب: نعم؛ تعني جميعها استنجادُ الإسرائيليِّ بموسى عليه السلام، المرّة الأولى والمرّة الثّانية!

سامي: مرَّتين! وهل سيقتل موسى عليه السلام مرَّتين؟

الأب: مهلاً... استنجده ولكن هذه المرّة كان ردّه غير ذلك.

أحمد: نعم؛ فسورةُ القَصَص توضِّح هذا الأمرَ قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [القصص: ١٨].

الأب: نعم؛ لم يرتحْ موسى لاستنجادِ الإسرائيليِّ به مرّةً ثانيةً! وهذا ما كانَ خائفاً منه؛ لهذا قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

الأمّ: هذا يعني أنَّ الإسرائيليَّ على غواية.

جميل: أي: صاحب مشاكل، أليس كذلك؟

الأب: نعم؛ ومعَ ذلكَ لا يستطيعُ إلَّا أن يدافعَ عنه، وينقذه وينصره، فهو إسرائيليٌّ من شيعته، توجَّه موسى إلى خصمهِ الفرعونيِّ ليبطشَ به فإذا بالمفاجأة الّتي كان خائفاً منها تأتي من الإسرائيليِّ ذاته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: ١٩].

أحمد: أي أنّ الإسرائيليَّ هو من فتنَ عن موسى بقتله الفرعونيّ؟

الأب: نعم؛ فهو قد رأى قوةَ موسى عليه السلام فهو بوكزةٍ قتلَ

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفرعونيّ، وبعد أن سمع من موسى قوله: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، خاف على نفسِه أن يقتلَه موسى عليه السلام فأذاعَ السّرّ وكشفه أمام الفرعونيِّ، فعرفوا عندها لغز قتلِ الفرعونيِّ ومن قتلَه بالأمس[1]!

الأمّ: في هذه الحالةِ صارَ الجميعُ يعرفونَ ما حدثَ بينَه وبينَ الفرعونيّ، وهنا كان جواب الإسرائيليّ إنّك جبّار، ولست مصلحاً، فبالأمس قتلت الفرعونيّ واليوم تريد قتلي!!

سمع الفرعونيُّ الخبرَ وذهبَ مسرعاً إلى آلِ فرعونَ، وقدّم لهم حلَّ لغزِ حادثةِ الأمس، وفوجئَ القومُ بالخبرِ. إذن موسى هو القاتِل! موسى ربيبُ فرعون، الّذي عاش في قصرِه، وأمضَى عنده سنواتِ عمره، لم ينسَ أصلَه الإسرائيليّ، فلمّا حانت أوّل فرصة انحاز إلى إسرائيليٍّ وقتل فرعونيّاً[2].

الأب: وهذه فرصةٌ لإخبارِ فرعون، ودعا الملأُ من آله إلى اجتماعٍ عاجلٍ ليتدارسوا القضيّةَ، ويفكّروا في كيفيَّةِ قتلِ موسى. وموسى لا يعرفُ أنَّ سرّ حادثةِ الأمس قدِ انكشفتْ، ولا يعرفُ أنّ فرعون سيصدرُ أمرَهُ باعتقالِهِ وقتلِهِ، ولكنَّه كان يسيرُ في المدينةِ خائفاً يترقّبُ[3].

الأمّ: ولكنَّ الله عزّ وجلّ حَفِظَ موسى عليه السلام، بينما هو يسيرُ في المدينةِ جاءه رجلٌ يسعى ليحذِّرَه من الخطرِ القادم: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠].

أحمد: ستقولين لنا لا نعرفُ من هو هذا الرّجل لأنّه مبهم!!

ابتسم الجميع لفطنة أحمد.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣١٩ ـ ٣٢٠، بتصرّف.
(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٢٠.
(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٢١.

الأب: فعلاً، هذا الرّجلُ مبهمٌ، لا تذكرُ المصادر الصّحيحةُ اسمه ولا مركزَه، ولا تبيَّن كيف عرفَ اجتماعَ وائتمار الملأ من قومِ فرعون بموسى، فهل كانَ واحداً من الملأ المقرَّبين، ولمّا دُعِيَ إلى الاجتماع آثر أن يسارعَ بتحذير موسى من الخطر؟ أم علمَ من أحدِ المدعوّين بذلك[1]؟

الأمّ: لا همّ لدينا، المهمُّ جاءَ هذا الرّجلُ يسعى سعياً حثيثاً سريعاً، وكأنّه يريدُ أن يسبقَ رجالَ فرعون إليه ليحذّره منهم، قبل أن يتمكَّنوا من القضاءِ عليه، قال الرّجل: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ...﴾، وختمَ الرّجلُ كلامَه لموسى بتذكيرهِ بنصحهِ له: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

الأب: وقد صوَّر القرآنُ حالةَ موسى عندما خرجَ من المدينةِ... وسَنَتَحَدَّثُ عن ذلك بإذن الله قبل عودتِكم إلى المدرسةِ لإنجازِ الفصلِ الثّاني.

حمدَ الأولادُ الله على نعمهِ الكثيرةِ واستأذنوا والديْهم للنّوْمِ.

* * * * * *

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٢٠.

قصة رقم ١٩

موسى عليه السلام
يكلّف بالرّسالة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسى عليه السلام
يُكلَّف بالرّسالة

العَلاقاتُ الأُسَريَّةُ الحميمةُ والسّليمةُ مطلوبةٌ جدّاً في كُلِّ الأزمِنَةِ والأَمْكنةِ، ولا سيّما في زمانِنا هذا الذي تكاد تُفْقَدُ فيه مفاهيمُ الحبِّ الصّادِقِ، والصَّداقةِ والإخلاصِ والتَّضحِيَةِ. وتكادُ مفاهيمُ المُشاركةِ الاجْتماعيّةِ في الأفراحِ والأتراحِ تنعدمُ.

كلُّ إنسانٍ صارَ يهتمُّ بنفسِهِ وبيتِهِ ومشاكلِهِ، وتكادُ الثِّقةُ بالآخرِينَ تنعدِمُ، فالثّقةُ لا تتكوَّنُ هكذا بشكلٍ فِطريّ، ولكنّها تحتاج للعِشرة والتّعامُلِ واحْتكاك العقولِ والمُناقشاتِ، ومُقارعةِ الفِكرةِ بالفِكرة، حتّى صار منَ المُستَهجَنِ أن تجدَ صديقاً يزورُك أو تسمَعَ كلمةَ «صديقي» أو أنْ ترى الجيرانَ يتزاورون ويَتوادُّون، أو يتشاوَرُونَ في مسألةٍ تَخُصُّ أحدَهُم وقد عَجِزَ عَنْ حلِّها بنفسِهِ.

والأكثرُ غرابةً واستهجاناً رُؤيتُك إنساناً قد خصّصَ جُزءاً من وقتِهِ لمُساعدةِ إخوانِه وقضاءِ حوائِجِهِمْ أو حلِّ مشاكِلِهِم، فقد طغَتِ المادِّيَّةُ اليومَ على الرُّوحانِيَّةِ، وغدا هَمُّ غالبِيَّةِ النّاسِ كيفَ يجمعون الأموالَ أو كيف يُكَدِّسون الشّهاداتِ العلميَّةَ، أو كيف يقضون أوقاتاً لطيفةً في الملاهي والمتنزَّهات.

لم يعد قاموسُ التّعامُلِ بينَ النّاسِ يحتوي على تعابيرِ الزياراتِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجماعِيَّةِ، أو عيادةِ المرضى، ويكادُ تعبيرُ تعزيةِ أهلِ المَيْتِ يزولُ، فكثيرٌ مِنَ النّاسِ يكتفون بالاتِّصالِ الهاتفيّ في كثيرٍ من المُناسباتِ الحزينةِ أوِ السّعيدةِ، أو إرسالِ زهورٍ تحمِل بطاقاتٍ بأسماءِ مُرسليها، فتصل الزّهور ولا يصل مرسلوها.

الحياةُ بهذا الشّكلِ مُمِلَّةٌ وكريهة؛ لأنّ الإنسانَ لا يستطيعُ البقاءَ وحيداً معَ كتبِهِ أو أعمالِهِ أو أمواله؛ لا بدّ له من مُعاشرةِ الناسِ ومشاركتِهم أفكارَهم حتّى تستمرَّ السّعادةُ والإحساسُ بالأمانِ. وقد قال ابن خلدون عن الاجتماع الإنسانيّ: إنَّه ضروريّ: «...وبيانُهُ أنَّ الله سبحانَهُ خلَق الإنسانَ وركَّبَهُ على صورةٍ لا تصحّ حياتها وبقاؤها إلّا بالغِذاء، وهداه إلى التماسه بفِطرتِهِ وبما رُكِّبَ فيه مِنَ القدرةِ على تحصيلِهِ، إلّا أنَّ قُدرةَ الواحدِ من البشرِ... يستحيلُ أن تفِيَ بذلك كُلِّه أو بعضه... فلا بدّ مِن اجتماعِ القدْر الكثيرِ من أبناءِ جنسِهِ ليُحصِّلَ القوتَ له ولهم، فيحصِّلُ بالتّعاونَ قدرَ الكفايةِ مِنَ الحاجةِ لأكثرَ منهم بأضعاف...»[1].

هذه النّاحيةُ الاجتماعيّةُ، كان أبو أحمد وأمُّ أحمد يحاوِلان الاهتمامَ بها بتقويةِ العَلاقات بين أولادِهم ورفاقِهم لإقامةِ تواصُلٍ اجتماعِيّ سليم، ولإزالةِ مشاعِرِ الخجلِ من نفوسِهِم، وتعزيزِ الشّعورِ بالانتماءِ والمُشاركة.

فمُعظمُ المراجع التّربويّةِ تُشدِّدُ على التّربيّةِ الاجتماعيةِ والمُشاركةِ في النشاطاتِ والهواياتِ المُتعدِّدةِ منذُ الصِّغَرِ، وعلى أنَّ الصَّداقةَ عاملٌ مهمٌّ من عواملِ تعزيزِ الثّقةِ بالنّفسِ والإحساسِ بالانتماءِ إلى المجتمعِ الذي يعيش فيه، فإذا لم نشعرْ بهذا الإحساسِ نظلُّ غرباءَ محزونين يائسين، وهذه المشاعِرُ لا تخوِّلُ صاحبَها أن يكونَ من النّاجحين المميَّزين، بل إنّها ستودي به وتُرديه في هاويةِ الخجلِ الذي هو سببٌ من أسبابِ الفشلِ.

ذات يوم جاء سامي يحكي لأمِّهِ ما حصل لأحدِ رفاقِهِ في الصَّفِّ،

(١) ابن خلدون، **المقدّمة**، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨م، ص٤١ ـ ٤٢.

الذي رسب في الامتحان الفصليّ، فهو لا يشارِك الرّفاقَ في الملعب ولا يجرؤ على الكلامِ في الصّفّ. ويبدو عدائيًّا في بعض الأحيان.

وللمُصادفةِ فقد حضرتِ الأمُّ ندوةً تربويةً تهتمُّ بنفسيةِ الأطفالِ، تحمل عُنوانَ: «معالجةُ اضطراباتِ الخجلِ عند الأطفالِ» فاكتشفَتْ أنّ الأعراضَ التي ذكرها سامي، والتي تبدو على رفيقه هي أعراضُ الخجلِ. أخرجت أمّ أحمد دفتراً كانت تحتفِظُ به في حقيبتِها، وراحت تقرأ النّصائحَ التي ذكرتها الأُستاذة المُحاضرة لمُعالجة الخجل، والتي كانت دوَّنتْها وهي:

ـ عدمُ مُقارنةِ الأبناءِ مع بعضِهم، فإنّه لَخطأٌ كبيرٌ...

ـ البعدُ عن الانتقادِ والتّعبيرِ والاستهزاءِ كُلِّيّاً، والاستعاضةُ عن ذلك بالتّشجيعِ والمكافأة.

ـ تأمين الأصدقاءِ ومناخاتِ الاختلاطِ المُبكرةِ...

ـ الابتعادُ عن تكليفِ الأبناءِ بأعمالٍ فوق طاقتِهم حتّى لا يفشلوا...

ـ الاجتماعُ بالأصدقاءِ في النّوادي الرّياضيّةِ ومُمارسةِ هُواياتٍ مُشتَرَكة...

ـ قراءةُ السِّيْرةِ النّبويّةِ وقِصصِ الصّحابةِ والصّالحينَ...

وخَتمتِ المحاضِرةُ كلامَها بأن ليس هناك فرق بين خجلِ البنتِ وخجل الصَّبِيّ، فالخجل مرفوضٌ لكنّ الحياء مطلوب للطّرفين: الحياء من فعل الخطأ، والحياء للحفاظ على القيم والمبادئ لأنّ هذا هو الأساس. كما أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين الخجلِ والحياءِ[1].

يبدو أنّ الأولادَ، في هذا الوقت، شعروا بحاجَتِهم إلى مُمارسَةِ

(١) جمعة، عبلة بساط، **مهارات في التّربية النّفسيّة**، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ص٢٥١ ـ ٢٥٢ بتصرّف.

الرياضةِ فاتّفقوا أن يستأذِنوا والدَيْهم بالانضِمام إلى نادٍ رياضي لتعلُّم الكاراتيه.

الأب: لماذا اخترتم فنّ الكاراتيه، هناك أنواع رياضيّة غيرُها مفيدةٌ أيضاً!

أحمد: صحيح، وما يُهِمُّنا أن ندرِّب أجسامَنا ونقوِّيَها حتّى تبقى عقولُنا سليمةً. فالمَثَل يقول: «العقلُ السّليمُ في الجِسمِ السّليم».

الأمّ: من جهَتي، أنا لا أوافِقُ على رياضةِ الكاراتيه، ولا المصارَعَةِ ولا المُلاكمة، إنّها رياضات عنيفة... اختاروا أيَّ رياضةٍ أُخرى.

الأب: لا، لا، أنت تنظُرين إلى الأُمورِ من جهةٍ عاطِفيةٍ بحتة، لأنّك لا تتحمَّلين رؤية المناظرِ العنيفةِ، انظري إلى الأُمور نظرةً عقلانيّة تَجِدي أنّ الإنسانَ يحتاجُ إلى القُوَّةِ الجسديّةِ حاجَتَهُ إلى القُوَّةِ العقليّةِ. وهذه الرّياضات التي سَمَّيتِها عنيفةً هي التي بإمكانها تزويدُ الجسم بالقُوَّة الدّفاعيّة واللّيونَةِ. ثمّ إنَّ الكاراتيه لا تُعَلّم الاعتداءَ على النّاسِ. إنّها فنُّ الدّفاعِ عن النّفسِ. وكلُّ إنسان بحاجةٍ للدّفاعِ عن نفسِهِ في جميعِ مجالات الحياة العقليّةِ والبدنيّةِ. وقديماً قال الشّاعر:

«الرّأيُ قبلَ شجاعةِ الشّجعانِ ... هو أوّلٌ وهي المحلُّ الثّاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرّةٍ ... بلغَتْ مِنَ العلياءِ كلَّ مكانِ»

الأمّ: لن أُعارِضَكم. افعلوا ما تَرَوْنَهُ مُناسباً، ولكن ليس الآن، بل عندما تنالونَ الإجازَة الصّيفيَّةَ.

الأولاد: موافقون.

الأمّ: ولديَّ فكرة أُخرى للاستفادة مِنَ الأوقات قبلَ الإجازة الصَّيفيّةِ. خلال العامِ الدّراسيِّ ستنالون إجازاتٍ مُتعدّدةً، فلماذا لا تَسْتَغِلُّونها بالذّهابِ إلى مكتبة عامّة؟

أحمد: سأفعل هذا إن شاء الله تعالى، فهو من ضِمن المنهاج الدّراسِيِّ المقرّرِ لنا في هذا العام. لقدِ اتفقتُ معَ صديقي للذّهابِ معاً.

الأمّ: وأخواك أيضاً سيعملان مثلكما، ولكن في مكتبةِ البيت ليتدرّبا على البحثِ العِلْمِيّ.

جميل: ولكنّه غيرُ مطلوب في مرحلتِنا الدّراسيَّةِ.

الأمّ: أعلمُ هذا، ولكنّكُما ستبحثانِ عن معلوماتٍ غيرِ منهجيّة. ستُفَتِّشانِ عن أخبارِ الأنبياءِ الذين لم نتحدّثْ عنهم بعدُ، فتخفِّفا عني بعضَ الأعباءِ. أنا سأكون مشغولةً بحُضورِ بعضِ المُحاضراتِ والنّدواتِ والدَّوْراتِ التّدريبيَّةِ للحوامِلِ ليتعرَّفن إلى ما يجبُ عليهِنَّ فعلُهُ أثناءَ فترةِ الحمْلِ ثُمّ الولادةِ.

جميل: ولكنّك تعرفين هذه الأمورَ جيّداً. لقد سَبَقَ لك الحمل.

الأمّ: إنَّه قد مضى زمنٌ طويلٌ منذ آخرِ حَمْلٍ لي.

سامي: هل هذا يعني أنّكِ تريدين تربيةَ المولودِ القادمِ بطريقةٍ تختَلفُ عنْ تِلك التي اتَّبَعْتِها معنا، ولن يعودَ لديكِ وقتٌ لرعايَتِنا والاهتمامِ بنا...؟

الأمّ: كيف تقول هذا؟ لقدِ اهْتممْت بكم تماماً كما أهتَمُّ بهذا المولودِ، كنت أحضرُ مُحاضراتٍ علميّةً دوماً. وهذا لا يعني أنّي سأُهمِلُكم وأنشَغِلُ عنكم. ولكنّكم صِرتُم كباراً، وصار مِنَ الواجب أن تتعلّموا الاهتمام بأنفسكم لتصيروا رِجالاً مسؤولين ذوي عقولٍ نيّرةٍ، رجالاً يُعتَمَد عليهم في حمْلِ رايةِ المستقبلِ وتطويرِهِ. وأنتم عندما تساعدونني في جمْع المعلوماتِ مِنَ الكتُبِ والمراجِع فإنّكم تُدرّبون عقولَكُم على التّفكيرِ السّليمِ، وستشعرون كم هو عمل ممتع ومفيد.

الأب: أنا أؤيدُ أمَّكم في هذا الكلام.

أحمد: هذا شيءٌ جميل. نجمعُ المعلومات، ولكن عليكما أن تضعا لنا رؤوسَ أقلامٍ عن المعلومات التي يجب أن نبحثَ عنها.

الأمّ: طبعاً. هذا ما سنفعله بإذنِ الله.

سامي: ولكن ألا تتابعينَ قصّةَ سيّدِنا موسى؟ أم ستنتظرين حتّى نجمعَ المعلومات؟

الأمّ: بلى، سأتابع قصّة سيّدنا موسى فقد حضّرتُها كلّها وأنتم تجمعون معلومات عن نبيٍّ آخر، وستسردونها بأنفسكم.

الأولاد: إن شاء الله تعالى.

أكمل الأولاد يومهم بإنجاز جميع وظائفهم التي أخذوها للعطلة حتّى يتفرَّغوا غداً لمُساعدة أمّهم في عملها المنزليِّ ثمّ سَماع قصّة سيّدنا موسى عليه السلام.

في إحدى السّهرات قال **جميل**: متى نبدأ في سرد قصّة موسى عليه السلام؟ أنا على أحرٍّ من الجمر لمعرفة ما جرى لسيّدنا موسى عليه السلام، بعد أن أنذره الرّجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى...

الأمّ: نتابع سردها بإذن الله تعالى الآن.

جميل: ماذا حدث لسيّدنا موسى عليه السلام هل بقي في مصر أم خرج منها؟

الأب: رويداً رويداً بنيّ سنقصّ عليكم القصّة بجميع تفاصيلها التي وردت في القرآن الكريم...

سامي: وما ورد في الأحاديث...

الأب: الأحاديث الصّحيحة، بارك الله بك بني.

الأب: وصل هذا الرجل وأخبر موسى عليه السلام بما تآمر عليه فرعون ورجاله وحذَّره ونصحه بالخُروج من مصر.

نفّذ موسى عليه السلام نصيحة الرّجل فوراً، وخرج من المدينة، خرج ولم يتزوّد للسّفر فلم يأخذ معه طعاماً ولا شراباً ولا ثياباً ولا دواباً ولا حتّى يعرف إلى أين يذهب، وقد صوّر القرآن الكريم حالة موسى عليه السلام عندما خرج من المدينة قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص: ٢١ ـ ٢٢]، خرج من المدينة خائفاً، وخرج منها خائفاً يترقّب، خائفاً من جنود فرعون مع خوفه الطّبيعيّ من خطر فرعون، لم يتأثّر إيمانه بربّ العالمين وتوكّله عليه...

أحمد: نعم؛ فكلّ حياته كانت هكذا، ففضل الله عليه في كلّ مراحل حياته.

جميل: قلتَ في الآية مدين... هل تقصد مدين حيث أقام شعيب عليه السلام؟

الأب: قبل أن أجيب، أريد فقط أن أُعقِّب على كلام أحمد، إنّ فرعون وجُنوده قوم ظالمون، وهم الآن قد أعلنوا الحرب عليه، وهُم أقوياء يملكون كلّ أسباب ومظاهر القُوَّة، لكنّه يوقن أنَّ القُوَّة إنّما هي لله، وأنّ الله سيُنجِّيه منهم، ويخلّصه من مكرهم وكيدهم، ولهذا سأل الله أن يُنجِّيه منهم(١).

وأنجى الله موسى عليه السلام وتوجّه إلى مَدْيَنَ كما قال تعالى في الآية، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام، نعم؛ هي مدينة قوم شعيب عليه السلام، لكنّ شعيباً عليه السلام لم يكن في زمن موسى عليه السلام، بل كان في زمن لوط عليه السلام. ـ وكما قلنا سابقاً إنّنا نتعرّف على الزّمان والمكان لكلّ رسول ونبيّ عن طريق القرآن الكريم ـ ومَدْيَنَ قريبة من قوم لوط زمانيّاً ومكانيّاً، ولذلك ذَكَّرَ شعيبٌ عليه السلام قومه في مَدْيَنَ بتدمير قوم لوط، وأخبرهم أنّها ليست بعيدة

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص ٣٢٣.

منهم، لا في الزّمان ولا في المكان. قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ [هود: ٨٩][1].

الأب: والدتكم ذكرت هذه المعلومات حتّى لا يخطر ببالكم أنّ سيّدنا شعيباً عليه السلام لا زال حيًّا، حين خرج سيّدنا موسى عليه السلام إلى مدين.

الأمّ: نعم؛ لأنّني أعرف أنّ هناك تساؤل سيدور بخلدكم.

الأب: لأنّنا حينما نتلو الآيات في سورة القَصص قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ [القصص: ٢٣].

قطع موسى المسافة وهو لا يدري إلى أين يتَّجه، المهم أنَّه وصل مدين، وقدّر الله أن يرد موسى عليه السلام عين الماء وقت سقي الرّعاة لمواشيهم.

فموسى عليه السلام ورد الماء ليشرب منها، ونظر حوله، فرأى منظراً عجيباً مثيراً، عبَّر عنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾.

فالرّعاة الرّجال منهمكون في سقي مواشيهم، ومتجمعون حول عين الماء، وهناك امرأتان بعيدتان عن الماء، معهما ماشيتهما وأغنامهما، حريصتان على أن لا تقترب ماشيتهما وأغنامهما من الماء، فكلّما اقتربت بعض الأغنام من الماء، كانتا تذودانها عنه[2]!!

جميل: إذن ﴿تَذُودَانِۖ﴾ معناها تبعد الأغنام.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص ٣٢٥.
(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.

الأب: ﴿تَذُودَانِ﴾ معناها: تمنعان أغنامهما من الوصول إلى الماء... أو تمنعان وتكُفّان، أي: أغنامهما.

سامي: وماذا فعل سيّدنا موسى عليه السلام.

الأب: توجّه نحوهما، وسألهما قائلاً: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ والمعنى: ما شأنكما وقصّتكما؟ ولماذا تقومان برعي الغنم؟ ولماذا لا تسقيان الغنم مع الرّعاة؟ ولماذا لا تزاحمان الرّجال على الماء[1]؟

سامي: كلمة لها كلّ هذه المعاني؟ وكيف عرفت ذلك؟

الأب: من قول الله تعالى حين أجابت الامرأتان موسى عليه السلام قائلتين: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، سؤال بكلمة، وإجابة بجملتين، قصدتا في إجابتهما الاختصار وتقليل الكلام والتّخاطب والحوار[2].

أحمد: أليس الدّافع الذي دفع موسى عليه السلام للكلام معهما وسؤالهما هو نخوته ومروءته وشفقته؟ أليست هذه الصّفات متأصّلة في شخصيته وكيانه، كما فعل حينما استنجده الذي هو من شيعته؟

الأمّ: سألهما بمنتهى الاختصار، ليعرف السّبب، ويقدّم الخدمة والمُساعدة[3].

الأب: وسنرى كيف هبّ سريعاً لمساعدتهما لمّا سمع موسى عليه السلام كلام المرأتين وتبريرهما، ذهب إلى الماء، وزاحم عليه الرّعاة وأحضر غنم المرأتين، وسقاها حتّى رُويت. قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

سامي: لم أفهم هل سقاهما ماء؟؟

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٢٧.
(٢) المرجع السّابق، ص٣٢٧.
(٣) المرجع السّابق، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨ بتصرّف.

الأب: سقى لهما الأغنام. وعندما انتهى من سقي الأغنام فتركتاه وعادتا إلى أبيهما، ويبدو أنّهما وصلتا مبكّرتين فاستغرب الأب، فأخبرتاه بما حدث.

سامي: وماذا فعل سيّدنا موسى عليه السلام؟

الأب: قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

الأمّ: أريد فقط أن أُنوِّه على أمر مهم جدّاً أنّ سيّدنا موسى عليه السلام لم يكن رسولاً بعد ولم يؤمر بتبليغ رسالة ربّه! حتّى نعرف أنّه دوماً يلجأ إلى الله ويدعو الله، ويستغيث بربّ السّماوات والأرض فهو على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام.

جميل: كنت سأسأل هذا السّؤال حينما خرج من مصر خائفاً وكيف دعا الله عزّ وجلّ، والآن يطلب من فضل الله و...

الأب: نعم؛ ويعلن أنّه فقير إلى الله، وأنّه محتاج إلى فضله وخيره، فهو فقير لا يملك شيئاً، فهنا نتوقّف كم نحن بحاجة إلى الله، فندعو الله عزّ وجلّ دوماً. لقد أعلن حاجته إلى الله، ولم يطلب من الامرأتين مالاً جرّاء مُساعدتهما، ولم يطلب أن يُساعداه لأنّه لا يملك شيئاً، فقد جاء مدين هارباً من مصر خوفاً من فرعون وجنوده، إنّما لجأ إلى الله يتوسّل إليه.

فقد ذكر المُفسِّرون أنّ موسى عليه السلام لمّا جهد في السّفر، وانقطع عن الأهل، بلغ به الجوع كلّ مبلغ، ولم يكن معه من الطّعام ما يأكله، فعرف أين المقصد، وأين المخرج، فعرف أنّ المفرّ إلى ربّه تبارك وتعالى بألطف الكلمات والعبارات، المتضمّن لطلب إنزال الله الخيرات، وهذا من أبلغ الوسائل، وألطفها لما فيها من حسن الأدب وكمال الطّلب.

وكأنّي بحاله يقول: يا ربّي إنّي لما أنزلت إليّ من فضلك وغناك وخيرك فقير إلى أن تغنيني بك عمّن سواك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السّؤال بلسان المقال»[1].

الأمّ: تعلّمنا سابقاً بعضاً من أسماء الله الحُسنى، وبعضَ صِفاته، فإنّ الله تعالى كما يحبّ من الدّاعي أن يتوسَّل إليه بأسمائه، وصِفاته، ونِعمه العامة والخاصّة، فإنّه يحبّ أن يتوسَّل إليه بِضَعفه وعجزه، وفقره، وعدم قُدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه، لما في ذلك من إظهار التّضرُّع والمَسْكنة، والافتقار إلى الله هو حقيقة كلّ عبد[2].

الأب: وإذا موسى عليه السلام قد سأل الله الخير بصِيغة الحال، فإنّه قد ثبت عن النّبيّ ﷺ أنّه سأل الله ﷻ بصيغة الطّلب، كما في الحديث العظيم الذي قال فيه النّبيّ ﷺ لأمّنا عائشة رضي الله عنها حين قال لها: «**عليك بالكوامل: اللّهم إنّي أسألك من الخير كلّه عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشّرّ كلّه عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النّار وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمّد ﷺ، وأستعيذك ممّا استعاذ منه عبدك ورسولك محمّد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر، أن تجعل عاقبته رشداً**»[3].

الأولاد بصوت واحد: «صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم».

الأمّ: دعوة موسى عليه السلام تضمّنت فوائد كثيرة يُمكننا الاستفادة منها. من يُعدّد لنا منها؟

---

(١) تفسير ابن السعدي، الجزء الثّاني، ص٨٤٤.

(٢) السعدي، **تيسير اللّطيف المنّان في خلاصة تفسير القرآن**، المملكة العربية السعودية، مكتبة راشد، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص٢٥٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٢٤٤٩٨)، وابن ماجه في سننه (٣٨٤٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: الأُولى: لا تجوز الشّكوى إلّا لله تعالى.

الأب: نقول: إنّ الشّكوى إلى المخلوق تُنافي كمال الصّبر، ولأنّ فيها رجاء للمخلوق، وقد يكون فيها التّسخُّط من قدر الله، كما يجب أن نعلم أن ليس كُلّ شكوى إلى المخلوق محرّمة، بل إن كانت لغرض صحيح كالاستعانة به على زوال الضّرر، فلا بأس بها، أمّا الشّكوى دون حاجة فهي مكروهة، وقد تصل إلى التّحريم إن اقترن بها تسخّط من قدر الله.

سامي: كُلّ هذا الشّرح فقط من أجل الشّكوى!!! ابتسم الجميع لطرافة سامي.

تابع **سامي** فقال: هل يعني الدّعاء، الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه؟

الأب: نعم؛ وها أنت أجبت عن فائدة من غير أن تشعر. نعم؛ إنّ الشّكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصّبر، بل هي من كمال الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه.

كبّر **سامي**: الله أكبر الله أكبر، ها أنا قد شاركتكم بسرد الفوائد.

جميل: كما فهمت أنّ الإنسان يدعو الله ﷻ بما هو واقع فيه.

الأب: نعم؛ على الإنسان حين الدّعوة إلى الله أنّ يتوسَّل إليه بأنواع التوسّل المشروعة، وهذا من كمال العبوديّة لله تعالى.

الأمّ: وأنا سأقول لكم فائدة مُهمَّة جدّاً، ألا وهي مشروعيّة الاستعاذة من الفقر، وأنّها سُنَّة الأنبياء والمُرسلين. فقد كان من دعاء رسولنا ﷺ: «**اللَّهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة والذّلّة، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم**»(١).

(١) أخرجه أبو داود برقم ١٥٤٤، والنسائي برقم ٥٤٧٥.

الأب: نتابع الآن ما حدث مع سيّدنا موسى عليه السلام بعد دعائه هذا، قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. قالت له وهي مستترة كما قال أهل التّفسير واضعة يدها على وجهها «والله أعلم»: إنّ أبي يريدك أن تذهب إليه ليشكرك ويجزيك على إحسانك إلينا، فأجابها إلى طلبها.

وهنا يحضرني حديث لرسول الله ﷺ يُبيّن لنا من التي أتت إليه لتطلب منه الذّهاب معها إلى بيت أبيها، عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سُئِلْتَ: أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأتمّهما وأبرّهما. وإذا سئلت أي المرأتين تزوّج؟ فقل: الصّغرى منهما، وهي التي جاءت وقالت: يا أبتِ استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين. قال: وما رأيت من قُوّته؟ قالت: أخذ حَجَراً ثقيلاً فألقاه عن البئر. قال: وما الذي رأيت من أمانته؟ قالت: قال: امشي خلفي، ولا تمشي أمامي**»[(١)].

جميل: كانت الأخت الصّغرى إذن، وهل ذكر اسمها أيضاً؟

---

(١) أخرجه الطّبرانيّ في الصّغير والأوسط والخطيب في تاريخه، وقال الهيثمي: إسناده حسن. عن عمر رضي الله عنه: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ قال: كانت تجيء وهي خراجة ولّاجة واضعة يدها على وجهها فقام معها موسى وقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق وأنا أمشي أمامك، فإنّا لا ننظر في أدبار النّساء. ثمّ قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ لما رأته من قوّته ولقوله لها ما قال، فزاده ذلك فيه رغبة فقال: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾، أي: في حسن الصّحبة والوفاء بما قلت. قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٥ ـ ٢٨] قال: نعم. قال: الله على ما نقول وكيل، فزوّجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج إليه منه وزوجه. المستدرك، الحاكم، **كتاب التّفسير، تفسير سورة القصص**، حديث رقم (٣٥٣٠).

الأب: لا، اسمها من المبهمات التي لم يبيّنها رسول الله ﷺ، فلا نحاول البحث عنه أو الحديث عنه.

تابع **الأب** سرد القصّة...

قام موسى معها إلى البيت، ويبدو أنّها سارت أمامه لتدلّه على الطّريق إلى البيت. ولكنّ موسى عليه السلام لم يرتض ذلك. فقال لها: امشي خلفي، ولا تمشي أمامي.

وهذا تصرُّفٌ أخلاقيٌّ حكيم من موسى عليه السلام. سار أمامها من كمال أخلاقه وصفاء روحه... خوفاً من أن يرى أجزاء جسمها وهي تسير أمامه(١).

وصلا البيت، واستقبل الشّيخ الكبير الكريم موسى عليه السلام الشهم القويّ الأمين. وأنس موسى إليه، وشعر بالأمان والاطمئنان، وعرّفه على نفسه، وعلى قصّته، فطمأنه الرّجل وهنّأه بالنجاة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

قصّ موسى قصّته منذ ولادته، إلى نشأته في قصر فرعون، وقتله للقبطيّ، وأمر فرعون بالقبض عليه وقتله، وخروجه من مصر، وتوجهه إلى مدين، ووصوله إليه.

وأعجب الشّيخ الكبير المؤمن بقصّة موسى المثيرة، ولاحظ فيها رعاية الله وحفظه له، وأحَبّ الأب موسى لإيمانه وأمانته وشهامته، ودعاه إلى الشّعور بالأمان، وإلى عدم الخوف، وقال له: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وبيّن الشّيخ من هم الظالمون فقال:

---

(١) الخالديّ، صلاح، القَصص القرآنيّ، الجزء الثّاني، ص ٣٣٦.

القوم الظالمون هم فرعون وآله وجنوده، الجادّون في البحث عن موسى عليه السلام لقتله، وكأنّ الرّجل يريد أن يبيّن لموسى عليه السلام أنّه لا سلطان لفرعون عليه، ولا نفوذ لمصر على مدين في تلك الفترة، وكأنّ «مدين» كانت مُستقلّة عن مصر وقتها غير خاضعة لها(١).

الأمّ: هذا من تقدير الله عز وجل وتدبيره أن ساقه إلى مدين، وهداه إليها، وقدّر له الوصول إلى بيت هذا الشّيخ المؤمن(٢).

الأب: نعم؛ سنرى ذلك حينما يأمره الله عز وجل بالرّسالة، سنرى كيف حفظه ورعاه طَوال هذه المدّة لكي يحمل رسالة مهمّة سنتعرف عليها حينما نذكر ما حصل معه.

جميل: قلت في الحديث أيضاً إنَّه تزوّج الأُخت الصُّغرى... هل تزوّج بها؟

الأب: نعم؛ فسورة القَصص تخبرنا ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٦ ـ ٢٨].

الأمّ: نفهم من هذه الآيات ما وضّحه حديث رسول الله ﷺ أنّ الابنة الصّغرى هي من قالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

أحمد: أي: طلبت من والدها أن يستأجر موسى، ويوظفه أجيراً

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٣٦.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٣٧.

ليرعى الغنم، وذلك ليتكفّل برعاية الأغنام نيابة عنهما[1].

الأب: نعم؛ وحينما لاحظ رغبة ابنتيه في تعيينه أجيراً في رعي الغنم، عرض عليه أن يزوِّجه إحدى ابنتيه. واشترط عليه أن يعمل أجيراً لمدّة ثماني سنوات، فإن زدت المدة سنتين أُخريين، وبلغت المدّة عشرة سنوات، فهذا كرم منك.

وافق سيّدنا موسى عليه السلام وتمّ الاتّفاق بينهما ـ بين الشّيخ الصّالح وبين موسى عليه السلام ـ الالتزام بالثّماني سنوات، ولا عدوان عليه إن لم يزد، والله على ما يقولان وكيل.

تابعت **الأمّ** الكلام وقد لفت نظرها استغراب أبنائها واستهجانهم لهذا العرض، فمن المعتاد أن يخطب الشّاب الفتاة، لا أن يأتي أبو الفتاة ليخطب الشّاب ولكنّها بدّدت هذا الاستهجان لمّا قالت: الأب يجب عليه ضمان مستقبل أولاده وخصوصاً البنات، فكما أنّه يسعى جاهداً لتزويج أبنائه الذّكور، كذلك من واجبه البحث عن الإنسان الذي يعتقد أنّه الأنسب لابنته، والذي يمكنه المُحافظة عليها واحترَام مشاعرها، دون أن يضع في حسابه كم يمتلك ذلك الرّجل من حُطام الدّنيا، فالمال يزول ولا يبقى، إذا وجد هذا الإنسان فلا بأس من أن يعرض عليه الزّواج منها، ولو بشكل غير مباشر.

وقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[2].

المهمّ في الأمر أنّ سيّدنا موسى قَبِل العرض، وعاش في مدين ما عاش.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٣٩.

(٢) أخرجه التّرمذيّ، **كتاب النكاح**، باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوّجوه، حديث رقم ١٠٨٤.

لقد هيّأ الله لموسى الإقامة في مدين بحكمته وتدبيره ﷻ، لينتقل بعد ذلك لمرحلة أُخرى قدَّرها الله له.

كما إنّ قيامه برعي الغنم سيعطيه دروساً في العمل والجدّ والسّعيّ والكدّ، والإرادة والعزيمة، والصّبر والتّحمّل، لأنّ الغنم تتعب راعيها، وكأنّ رعيه للغنم هذه المدّة «دورة مُكثَّفة» هيّأها الله له، لتكون تمهيداً ومُقدِّمة لما بعدها[1].

أحمد: يا لها من حياة آمنة يسَّرها الله تعالى لعبده موسى عليه السلام في ديار مدين، إذ لولا أنّ بني مدين الكافرين انتقم الله منهم وأبادهم يوم الظُّلة قبل وصول سيّدنا موسى عليه السلام لما كان بإمكانه البقاء هناك.

الأمّ: إنّ الله تعالى رحيم بعباده، يخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الخوف إلى الأمن: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

الأب: المهمّ هو ما اتّفق عليه الرّجل الصّالح وموسى عليه السلام أن يعمل صهره موسى عليه السلام عنده عشر سنين. وهُناك دليل من البخاريّ، عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: «أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري، حتّى أقدم على حَبْر العرب[2] فسأله. فَقَدِمْت، فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنّ رسول الله موسى إذا قال فعل»[3].

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٤٤ بتصرّف.

(٢) حَبْر العرب هو الصّحابيّ عبدالله بن عبّاس.

(٣) أخرجه البخاريّ، **كتاب الشّهادات**، باب: من أمر بإنجاز الوعد، حديث رقم (٢٦٨٤).

ولمّا أخبر ابن عبّاس ﷺ أنّه أمضى عشر سنوات، كان يعتمد على حديث رسول الله ﷺ.

فقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**سألت جبريل** عليه السلام: **أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقال جبريل: أكملهما وأتمَّهما**»(١).

جميل: لديّ سؤال. قلت: إنّ نبي الله موسى عليه السلام عند وصوله إلى ماء مدين وجد عنده امرأتين تهتمّان بالغنم، أي: تعملان عمل الرعاة، فهل كانت النّساء قديماً يعملن كالرّجال؟ وهل الدِّين الإسلاميّ يسمح للمرأة بالعمل خارج المنزل؟

الأمّ: من ذا الذي أوحى إليك أنّ الإسلام يُحارب عمل المرأة ويُحرِّمه؟ إنّ هذا الدِّين هو الذي كرّمها وجعل لها مكانة عالية في كُلِّ مجالات الحياة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وما دامت المرأة تُحافظ على نفسها ودينها فلا بأس بعملها. فقد كانت المُسلمات الأوّليّات يعملن في التّجارة والصّناعة، وكُلّ ما يقوم به الرّجال... حتّى القتال والجهاد، أي: الأعمال الحربيّة، فكانت تُحارب كفارسة وطبيبة تُضمِّد جراح المُقاتلين. ثمّ إنّ ابنتي الرّجل الصّالح كانتا تعملان لأنّهما مُضطرّتان، فأبوهما رجل كبير في السّنّ لا يقدر على العمل وليس لديهما رجل غيره.

سكتت **الأمّ** قليلاً ثمّ قالت: نتابع القصّة في وقت آخر. فهي ما تزال طويلة، وأنتم يجب أن تناموا.

حبس الأولاد شوقهم لبقيّة القصّة وناموا طائعين.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند، والحاكم في المستدرك، **كتاب التّفسير، تفسير سورة القصص**، رقم الحديث (٣٥٣١) و(٣٥٣٢).

وفي اليوم التّالي قاموا بمُساعدة والدتهم في أعمالها المنزليّة وجهّزوا أنفسهم لجلسة تعينهم على إكمال قصّة موسى عليه السلام.

جلست العائلة مساءً، وقالت: لن أُطيل عليكم ولكن سأبدأ بمختصر لما قلناه سابقاً ليتمّ الرّبط بينه وبين بقية القصّة: «قدّر الله عز وجل ولادة موسى عليه السلام وعَيْن الله ترعاه خطوة خطوة، منذ أن كان رضيعاً في المهد... إلى أن أرسله الله عز وجل إلى مدين ليلتقي بالرّجل الصّالح... ثمّ ليُعدّ بعدها سيّدنا موسى عليه السلام لتلقّي الرّسالة، فكُلّ ما يحصل لجميع النّاس هو لحكمة اقتضتها المشيئة الإلٰهية، ولكنّ النّاس قد يتعلّمون وقد يظلّون على غيّهم وتكبُّرهم...

أكملت الأمّ حديثها: قدّر الله عز وجل أن تختم هذه المرحلة الأُولى من حياته بعشر سنوات قضاها في رعاية الله وحفظه وتأييده وحمايته. أمضاها موسى عليه السلام في البرّ والصّحراء، يرعى الأغنام، ويتعرَّض للحرّ والرّيح والعرق والنّصب، ويبذل في ذلك ما يبذل من الجُهد والمَشَقَّة والصّبر والمُعاناة... وذلك كلّه فعله الله الحكيم، لأنّه يعدّه لمُهمَّة كبيرة حيث سيجعله نبيّاً رسولاً، ويبعثه إلى فرعون، وينقذ به بني إسرائيل، وهذه المُهمَّة لا بُدَّ أن تسبقها فترة تهيئة وإعداد، فكانت السّنوات العشر في مدين[1]!!

الأب: أُكمل عنك السّرد لترتاحي قليلاً.

تابع **الأب** السّرد فقال: بعدما أنهى سيّدنا موسى عليه السلام إقامته في مدين ألهمه الله أن يعود إلى مصر، ليلتحق بأهله وأُسرته.

أخذ موسى عليه السلام أهله، وهم: زوجه بنت الرّجل الصّالح، وما أنجبت له من أولاد، وما كان معه من خدم، وودّع الرّجل الصّالح، وتوجَّه نحو مصر.

وسار في طريق سيناء التي توصِلُه إلى مصر، ووصل إلى وادٍ مُقَدَّس فيها يُسمَّى وادي «طُوى»، وهو الوادي المُحاذي لجبل معروف فيها، هو جبل الطُّور.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٤٦ بتصرّف.

وكانت ليلة باردة من ليالي الصّحراء، كما كانت ليلة مُظْلِمة، وبينما كان يسير مع أهله في ذلك الوادي، ضلَّ الطّريق، فلم يعرف أين يسير ولا أين يتوجَّه، واجتمع عليه ظلام البهيم، وبرد الصّحراء القارص، ولم يَدْرِ ماذا يفعل.

ونظر أمامه إلى سفح الجبل، فرأى ناراً مُشتعلة، فاستبشر خيراً وآنس بها، وطلب من أهله أن يمكثوا مكانهم، لأنّه سيذهب إلى النّار، فقد يجد عندها أحداً يدلّه على الطّريق الموصل إلى مصر، وقد يأخذ منها جَمْرة أو قَبَساً ويحضره إلى أهله ليصطلوا به[1]!

أحمد: أنا أحفظ هذه الآيات إنّها في سورة طٰه وفي أوائلها. وبدأ بتلاوة الآيات بصوت شجيّ بعد أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠﴾ [طه: ٩، ١٠].

الوالدان بصوت واحد: لا فضّ فوك بُنيّ، بارك الله بك وبإخوتك، وجعلكم من الذرِّية الصّالحة.

جميل: هَلْ قولُ الله تعالى على لِسَان سيِّدنا موسى عليه السلام: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ دلالة على إضاعة الطّريق.

الأب: نعم؛ وزيادة على ذلك، يعني ذلك آتيكم بشهاب من نار، وقوله: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وهي الجمر الذي معه لهب ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ دلّ على وجود البرد، وقوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾ دلّ على وجود الظّلام، وقوله: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾، أي: من يهديني الطّريق، دلّ على أنّه قد تاه عن الطّريق[2].

الأمّ: كما ورد أيضاً في سورة القَصص والنمّل والشّعراء.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٤٧.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٦، تفسير سورة طه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحمد: نعم؛ قال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: ٢٩].

جميل: هل تقصد رؤية موسى عليه السلام للنّار؟

الأب: نعم؛ ففعل: آنس، تعبير عن رؤيته للنّار ليلاً، ولم يقل الله عز وجل رأى أو أبصر.

الأمّ: نعم؛ فعل الماضي: «آنس»، ورد خمس مرات في القرآن، أربع مرات منها في سياق رؤية موسى عليه السلام للنّار بجانب الطُّور.

والتّعبير بفعل: «آنس»، يُعطي معنى أبلغ وأعمّ من معنى فعل «رأى».

إنّ فعل «رأى» يدل على الرّؤية والإبصار بالعين، أمّا فعل: «آنس»، فإنّه يُعطي معنى فعل «رأى»، ويزيد عليه معنى الأنس والاستئناس بما رأى، والانشراح لما رأى، والرّضى النّفسيّ والشّعوريّ بما رأى، والتّفاعل مع ما رأى.

وبما أنّ موسى عليه السلام كان في حالة ضيق وهمّ، ويعاني ما يعاني من البرد، وقد أضَلَّ الطّريق في الليل المظلم، فقد وجد أُنسه وطمأنينته بتلك النّار التي رآها وآنسها من بعيد، فاستأنس بها، واستروح إليها، وانشرح صدره لها، ورجا أن يجد عندها حلًّا لمشكلته، وهكذا كان[1].

جميل: لم تذكري المرة الخامسة أين ذكرت؟

الأمّ: ذكرت في سورة النّساء قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وهنا معناها: فإن عرفتم منهم الرّشد والصّلاح في الدِّين، عُقولاً وصَلاحاً.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهذه الآية لليتامى في حال وصولهم للرّشد والصّلاح.

الأب: نُتابع ما حدث مع سيّدنا موسى عليه السلام...

حمل موسى عليه السلام عصاه، وسار وسْط الظّلام، وتوجَّه نحو النّار، ولمّا وصل النّار ناداه الله، وأخبره أنّه في الوادي المُقدَّس طُوى، وطلب منه أن يخلع نعليه، وأمره بإلقاء عصاه، ولمّا جعلها الله حيّة تَسْعَى خاف موسى، فطمأنه الله، وأعطاه آية أُخرى، وهي يده السّمراء، إذا أدخلها في جيبه تكون بيضاء من غير سُوء.

وبعثه الله نبيّاً، وكلَّفه بالذَّهاب إلى فرعون. وشدّ عضده بأخيه هارون، وجعله نبيّاً مُساعداً له.

هذه خُلاصة ما جرى لموسى في تلك الليلة المُباركة، في تلك البُقعة المُباركة، بجانب الشّجرة المُباركة في الوادي المُقدَّس[1].

سامي: شجرة مُباركة، وادي مُقدَّس بُقعة مُباركة...

الأمّ: مهلاً سيشرح والدك هذه المعاني، ألم يقل: إنّها خُلاصة!!

الأب: لقد جعل الله وادي «طُوى» الواقع بجانب جبل الطُّور في سيناء وادياً مُقدَّساً بنصّ هذه الآيات، والقداسة هي الطّهارة والتّنزيه عن المفاسد والرّذائل...

أمّا الشّجرة المُباركة فهي في سفح جبل الطُّور، ورأى النّار فيها عن بعد.

ويُمكن تصوُّر المكان من خِلال الآيات هكذا: لمّا وصل موسى بأهله إلى وادي طُوى وجبل الطُّور، سار هو في وادي طُوى، ووجَّه وَجْهَه نحو مصر، وجعل جبل الطُّور على يمينه، وبذلك كان وادي طُوى عن يمينه أيضاً، وهو شاطئ الوادي الأيمن.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٤٨.

وكانت الشّجرة المباركة على يمين موسى، فهي على شاطئ وجانب الوادي الأيمن، الذي هو في جانب جبل الطُّور الأيمن.

وهذه البُقعة كُلّها بُقعة مُباركة، باركها الله في تلك الليلة المُباركة، وهي المذكورة في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، ومعناها أنّه لمّا أتى موسى المكان، ناداه الله(١).

سامي: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾؟؟؟

الأمّ: ﴿أَتَىٰهَا﴾، أي: لمّا وصل إلى حيث النّار...

أحمد: في سورة طه أيضاً ذكر الله ﷻ ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾ [طه: ١١ ـ ١٦].

الأب: لقد بدأ الله كلامه لموسى بأهمّ أمر، ألا وهو توحيد الله، حيث أخبره أنّه لا إلٰه إلّا هو، وأنه ربّ العالمين، وأنّه العزيز الحكيم.

جميل: ﴿نُودِيَ﴾، أي: إنَّه سمع من يناديه ولكنّه لم يره، ولم يعرف من هو، فقط سمع النّداء! أي: ﴿نُودِيَ﴾ بصِيغة المجهول؟ لماذا لم يستعمل صيغة المعلوم مثلاً: ناداه ربّه.

الأمّ: بارك الله بك بنيّ على شدّة مُلاحظتك... إنّ صِيغة المجهول تُضفي على الموقف سِمة الخُشوع والترقُّب، فموسى عليه السلام، كان يتوقَّع أن يرى قوماً أمام تلك النّار يهرعون إليه، ويخِفّون لاستقباله، ولكنّه لم يرَ أحداً.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٥٤ بتصرّف.

هاله الأمر إذ رأى الشّجرة المُباركة في البقعة المُباركة، التي جعل الله ﷻ فيها البركة، وهي الزّيادة والنّماء من الخير.

والشّجرة جعلها الله مباركة... وهي التي رأى موسى عليه السلام النّار الساطعة منها، ولم تكن ناراً لاهبة، وإنّما كانت نوراً على صُورة نار، وفجأة، وبدون انتظار يسمع صوتاً لا يعرف مصدره... صوتاً هزّ له كل أعطافه. لو كنت في مكان سيّدنا موسى عليه السلام، فماذا كنت تفعل؟ وكيف تتصرَّف؟

جميل: لا أفعل شيئاً، لأنّي عند ذاك أكونُ قد مِتُّ. أنا لا أستطيع احتمال هذا الموقف؟ أو قد أُصاب بالجُنون.

ضحك الجميع للطّريقةِ التي اتَّبعها جميل في إجابته، ولكنّ **الأب قال: في الحقيقة ما قاله جميل صحيح، فلا أحد يَقْوى على احتمال هذا الموقف إلّا من اختاره الله لتلقّي رسالةٍ ضخمة كالتي تلقَّاها سيّدنا موسى عليه السلام. وفيما بعد سترون كيف أنّ سبعين رجلاً من بني إسرائيل ماتوا دُفعة واحدة عندما طلبوا أن يروا الله جَهْرة.**

سامي: يا لهم من مُتكبِّرين! هل طلبوا ذلك حقّاً؟

الأب: أجل؛ وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

الأم: سيّدنا موسى عليه السلام كان من نسل قوم يؤمنون بالله تعالى الواحد الأحد، قُدُّوس السّماوات والأرض، وهُم يعلَمون أنّ الله يرانا ولا نراه، ويعلم ما في أنفسنا ولا نعلم ما في نفسه، لهذا لا يُمكن أن يخطر ببال أن يُكلِّمهم الله أو يقول لأحدهم: «يا فلان» فكيف لو اختصه بكلام كثير: ﴿... يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ كما قال تعالى في سورة طٰه [الآيتان: ١١ ـ ١٢].

الأب: بل التّكليم الرّبانيّ من وراء حجاب لموسى عليه السلام بيان لستِّ

قضايا[1]، ذكرها إمام الجامع بعد صلاة يوم الجمعة الماضية وكانت تدور حول تفسير هذه الآيات:

الأُولى: أنّي أنا الله الأزليّ الأبديّ خالق الأكوان المُتصرِّف فيها دوماً بحكمتي المُهيمن عليها دوماً بعلمي وقُدرتي وخَلْقِي، والخالق لأحداثها دوماً، واسمي العلم «الله» الجامع لكلّ أسمائي وصفاتي الحُسنى: (أنا الله الخالق المُتصرِّف المُهيمن على كل الأكوان)، والدّال على إنّك عبد من عبادي أنت وآبائك الأوّلين المؤمنين الموحّدين بي ربًّا لا إلٰه إلّا هو.

الثّانية: جاءت في قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، أي: لا معبود بحقّ في الوجود كُلّه إلّا أنا الذي ذكرت اسمي العلم «الله»، ومن يعبدني يجد أثر عبادته لي، في عاجل أمره في الحياة الدّنيا، وآجل أمره يوم الدِّين.

تدخَّلت **الأمّ** وقالت: فقط أريد تسليط الضوء لأحمد وجميل وأعلم أنّه صعب عليك يا سامي، فيوماً حينما تكبر ستعرف ما أقول...

ارتسمت علامات التّعجُّب على وجه سامي...

ولكنّ الأمّ تابعت الحديث...

ذكر والدكم معنى: لا إلٰه إلا الله، أمّا أنا فسأشرح لكم فقط معنى لفظ «إلٰه»...

لفظ «إلٰه» معناه: معبود. ولمّا كانت المعبودات الأُخرى من خلق الله، فكلّ معبود غير الله باطل، وكلّ معبود غير الله كما قلنا في قصّة إبراهيم عليه السلام حينما تحدَّث مع الأصنام، لا يجلب نفعاً لعابديه، ولا يدفع ضرّاً، بل يجلُبُ لهم العذاب الأبديّ.

---

(١) الميدانيّ، حسن حبنكة، **معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر**، المجلّد الثّامن، تفسير سورة طه، ص٥٣. (بتصرّف لإيصال المعلومة للطّالب).

جميل: أي عبادة، يجب أن تكون لله وحده لا شريك له.

الأمّ: نعم؛ وبذلك تكون الفكرة قد وصلت بارك الله بكم جميعاً.

الأب: هل يُمكنني المُتابعة وأرجو أن أتذكَّر...

سامي: الثّالثة يا أبي.

ضحك الجميع لسرعة إجابة سامي الدّالّة أنَّه لا زال يذكر ما قاله والده...

الأب: **الثّالثة**: جاءت في قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾، أي: إذا عرفت يا موسى أنّه لا معبود بحقّ غيري، لأنّني أنا الله الرّبّ، فاعبدني، من يذكر معنى العبادة؟

الجميع: نعم؛ جميعاً نذكرها.

جميل: هي طاعة الله بكلّ ما أمر به بـ(افعل) و(لا تفعل)، أي: بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه.

أحمد: وأيضاً إفراد الله ﷻ بالدّعاء للأمور العاجلة، والأمور الآجلة، والتّقرُّب إليه بفعل ما يجب من عباده أن يفعلوه، وترك ما يجب من عباده أن يتركوه، ابتغاء مرضاته.

الأب: أحسنتما بارك الله بكما.

تابع **الأب** كلامه...

الرّابعة: جاءت في قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

الصّلاة: عبادة معروفة لدى جميع الأنبياء وهي داخلة في عبادة العباد لله ﷻ، ولكن جعلها الله ﷻ بحكمته ذكر لله ﷻ، وظيفة مُتكرّرة كلّ يوم يتكرّر فيها القيام، والرّكوع، والسّجود والجلوس مع مراعاة أن تكون مستوفاة لشروطها وواجباتها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمّا ﴿لِذِكۡرَىٰ﴾ فتبيِّن لنا أهمّيّة ذكر الله ﷻ الذي تذكّرنا دوماً بأسمائه وصفاته الجليلة، وبحكمته العظيمة.

أمّا **الخامسة**: فجاءت في قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥﴾، أيّ: ساعة البعث للحياة الأُخرى يوم الدِّين، آتية لا محالة، لأنّها يوم الحساب، فلا يعلم أحد إلّا الله متى تقوم، وحقيقة قرب قيامها، فهي توشك أن تقع...

حقيقة الحساب في الآخرة، هو ما يعيشه الآن المؤمن، فاللّه ﷻ سيحاسب كلّ نفس بما فعلت من خير أو شرّ، فيُثبت الصّالح ويُعاقب الطالح»[1].

أحمد: يا لها من قصّة مُثيرة تحتاج إلى بعض أكواب الشاي، فقد جَفَّ حَلْقي، وأعتقد إنّكم مثلي شدّت أعصابكم...

الوالدان: ما رأيكم نكمل غداً قصّة موسى عليه السلام مع شرب الشّاي، فلا زال لنا مُتَّسع لانتهاء العطلة.

أضافت **الأمّ**: لا تظنوا أنّنا سنروي القصّة كلّها اليوم، فحياة سيّدنا موسى عليه السلام سلسلة من المُفاجآت.

انصاع الأولاد إلى ما طلبته والدتهم... التّوقّف عن السّرد وإكمالها في الأيّام التّالية، فلا زال لديهم أُسبوع كامل للعُطلة، قبل البدء بالفصل الثاني من العام الدّراسيّ...

وكان الجميع يترقَّبون أخبار جدّهم وجدّتهم وموعد وصولهم من السّفر، وتجهيز غُرفة الضّيوف لهما.

فكانوا في اليوم التّالي كخليّة نحل لا مكان فيها لدقيقة من الرّاحة، يعملون بجّد وتنظيم استعداداً لاستقبال الجدّ والجدّة، وفي المساء عندما انتهوا من جميع التّحضيرات جلسوا لمتابعة القصّة مع والدهم ووالدتهم.

أراد الله الرّؤوفُ الرّحيمُ أنْ يُخَفِّفَ وطأةَ الموقِفِ عن نفسِ موسى

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٥٨ بتصرّف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليه السلام فسأله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

انتبه موسى لِنَفْسِه وثاب إلى رشده وتذكَّر أنّه قادِرٌ على الكلام فقال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]. كان يكفي موسى أن يقول: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ فالله عز وجل لم يسألْه عن منافِعِها ولكنْ سأله عمّا يحمل بيده، ولكنّه أراد أن يُطيلَ الكلامَ مع ربِّه لينفِّس عن نفسه ويأنسَ بالتّحدُّثِ إليه، فهل مِنْ شَرَفٍ للإنسان أعظمَ مِن أن يكونَ كليمَ الرَّحمن!! فذكر له وجوهَ استعماله لهذه العصا التي يمتلِكُها فقال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ ولكنّه عاد إلى هدوئه وتذكَّر أنّ الله عز وجل يعلمُ الجوابَ، فاختصرَ الكلامَ وقال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

سامي: وما هي هذه المآرِبُ؟

الأب: وما تَظُنّ أن يفعَلَ الإنسانُ بالعصا؟ يضرِب بها مُهاجميه مِن النّاسِ والحيواناتِ، أو يغرسُها في الأرضِ ليعَلَم الوقتَ، وقد كان العربُ القدماءُ والمسلمونَ الأوائِلُ يتَّبعونَ تلك الطّريقةَ لمعرِفةِ مواقيتِ الصّلاة، كما كانوا يستعملون البوصِلةَ لتحديدِ الجهات.

جميل: أي: أنّهم كانوا يستعملونها كما نستعمل السّاعةَ اليومَ.

الأب: أجل؛ وهُناك حالاتٌ كثيرة يَستعمِل فيها الإنسانُ العصا.

أمّا بالنّسبة لعصا موسى: فقد ورد في الحديث عن وجوه استعمالاته لها كثيرٌ مِنَ الكلامِ ما يعدُّ في بابِ الخوارِقِ والمُعجزات.

الأمّ: بعدما ذكر موسى عليه السلام وجوهَ استعماله للعصا طلَبَ منه ربُّه أن يرمِيَها على الأرض: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [طه: ١٩].

لقد أمره بهذا ليُرِيَهُ ويُعلِّمَه ما لم يكُنْ يعلمُ عنِ العصا التي يَنْسِبُها لنفسه، لِيُعَلِّمه أنَّ قُوَّةَ الله وقُدرتَهُ فوقَ كُلّ قُوَّةٍ، ولا غالِبَ له، وليكونَ موسى ثابِتَ الجَنانِ قويّ الحُجَّةِ، حتّى يعتقِدَ أنّ الله معه أينما حلّ وارتحل.

نفّذ موسى أمْرَ ربِّه حالاً فألقى العصا من يده، ولكنّه ما كاد يفعل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا حتّى امتلأ خوفاً وانطلق يعدو هارباً لهول ما رأى! العصا التي كان يَفْتخرُ بمِلكِيّتِهِ لها، رآها وقدِ انقلبَتْ حيَّةً ضخمةً مُخيفةً. لقد أصابه ذُعرٌ شديدٌ أنساهُ رَهبةَ موقِفِه وكلامَه مع ربِّه: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

ولّى موسى فِراراً مِن مَنظَرِ الثعبانِ المُرعِبِ الذي كان يهتزُّ كأنّه جانٌّ كما وصفه الله في سورةِ القَصصِ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [القصص: ٣١]، فناداه ربُّه: ﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

رَجِع موسى إلى مكانِه مُنتظراً أوامِرَ ربِّه. فقال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]. مدّ موسى يَدَه إلى الثّعبان ورفعه فعاد عصا. ولكي يزيدَ الله تعالى مِنِ اطْمئنانِ موسى لينشرحَ صدرُه بحَمل الرّسالة، إذ أنّ مَن يُقبِل على عملِهِ بانشراحٍ يُنْجِزُه بشكلٍ ممتازٍ وتامّ، بل يكونُ مُسْتَعِداً لبَذْلِ المزيدِ مِنَ الجهودِ باستمرارٍ، طَلَبَ منهُ أن يَضَعَ يده في جَناحِه (تحت إبطه) ففعل، ثمّ أخرَجَها فإذا هي بيضاءُ تُضيء، ثمّ أعادها إلى جناحه فعادت كما كانت: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٢ ـ ٢٣].

سامي: خَرَجَتْ يدُه بيضاءَ! وماذا كان لونُه إذاً؟

الأمّ: لقد كان سيّدُنا موسى رجلاً أسمرَ، شديدَ السُّمرة، هكذا وصفه سيّدُنا محمّد ﷺ بعد أن شاهَده في المعراج قال: «**أمّا موسى فرجلٌ آدم (أسمر) طَوال كأنّه من رجال «أزد شنوءة»**»[1].

سامي: ما معنى طَوال؟

الأمّ: الزّائد الطُّول. أمّا «أزْدُ شَنوءَة» فهم قبيلةٌ عربيةٌ سكنَت في بلاد تِهامة، واشتَهرت بطولِ رِجالها ولونِهم الأسمر.

---

(١) أخرجه البخاريّ، **كتاب أحاديث الأنبياء**، باب: قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، حديث رقم (٣٤٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: لقد فهِمْت. جاء في الآية الكريمة: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، موسى عليه السلام كان قريباً إلى السّوادِ، فإذا أصابه بياضٌ في جسده فقد يكون ذلك لِعِلّةٍ أو مرضٍ كالبَرَصِ، لهذا قال الله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، أي: جعَلَها الله بيضاءَ من غير علّة أو مرض.

الأمّ: أحسنت! أرأيت؟ لقد صار بإمكانِك الاستنتاجُ العقلِيّ والرّبط بين الوقائع للحصول على الحقائق. هذا يعني أنّك عندما تقوم ببحثٍ علميٍّ حول أيّةِ فَرَضِيَّة[1] فإنّك ستنجح بتفوّق.

ظهرت الابتسامات على الوجوه في حين تابعتِ **الأمّ** قِصّتها: بعد أن أظهر الله تعالى الآيتين: العصا واليد، وأحسّ موسى بالقُوّةِ والثّقةِ بالنّفسِ، أطْلَعَهُ الله على حقيقةِ ذلك اللقاءِ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤].

أحمد: لقد قصصتِ كثيراً من سِيَرِ الأنبياءِ، لم تذكري في إحداها أن الله أرسل نبيّاً إلى رجُلٍ معيّن، ولكنَّ الله عز وجل كان يُرسِلُهم إلى الأقوام. فلماذا أرسل موسى إلى فرعونَ ولم يرسِلْه إلى الشّعب المصريّ كافّة؟

الأمّ: سؤال جيّد، حينما قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

وهو تجاوز الحدّ، والظّلم والعدوان، وقد برز ذلك حينما ادَّعى أنَّه إلهٌ وربّ لقومه، ودعاهم إلى عبادته.

الأب: هل تعرفون أنّ أبرز عُنوان لحُكم فرعون هو الطّغيان، وأبرز صِفة لفرعون أنّه طاغية، وطُغيان فرعون الطّاغية استدعى أن يُنادي الله موسى في الوادي المُقدَّس، وأن يُكلِّمه تكليماً مُباشراً، بدون واسطة المَلَك جبريل، وأن يكلّفه بالذّهاب إلى فرعون.

الأمّ: والإجابة عن سؤالك، هو أنّ موسى عليه السلام كان مُكلّفاً بالذّهاب إلى فرعون وقومه أيضاً، وأيضاً بعثه الله نبيّاً ورسولاً إلى فرعون وملئه

(١) الفرضية: المسألة المفترضة المطلوب البحث عنها.

وقومه، بالإضافة إلى كَوْنه نبيّاً رسولاً إلى قومه بني إسرائيل[1]. لهذا قال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾، والطُّغيانُ هو مُجاوزةُ الحدّ وأخذُ الإنسانِ ما ليس من حقه.

عندما أمرهُ الله بالذهاب إلى فرعون، تذكّر موسى السَّببَ في هُروبه من مصر، لقد قَتَل رجلاً قَبْطيّاً مُهِمّاً بمُجرّدِ وكزِه، هو لم يكن يقصِدُ قتلَهُ، ولكنّه فَعَلها، فعاوده الخوفُ وأخبر ربّه بما يُفكِّر، والله يعلَمُ كلّ شيء، ولا تخفى عليه خافية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص: ٣٣].

وراحت العواطف تتصارع في نفس موسى عليه السلام: عاطفةُ الطّاعةِ لله تعالى، وعاطفةُ الخوف مِن انتقام فرعونَ وملئِه، ولكنْ بالطّبعِ طاعةُ الله واجبةٌ وجوباً عينيّاً على كُلِّ إنسان، لذا لم يجد موسى بُدّاً من الدّعاء، فالدّعاءُ هو العبادةُ كما قال رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: «**لن ينفعَ حَذَرٌ من قَدَرٍ؛ ولكنّ الدعاءَ ينفعُ ممّا نَزَل وممّا لا ينزل، فعليكم بالدّعاء عباد الله**»[2].

سامي: وماذا قال سَيِّدُنا موسى؟

الأمّ: قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٢].

سامي: ما معنى هذا الدّعاء؟

الأم: لقد طلب موسى من ربّه أن يشرح له صدره بمعنى يُعينُه ويُقوّي فيه قُدرته على الاحتمال والصبر، وذلك لأنّه كان انفعاليّاً سريع الغضب،

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٢) رواه أحمد والطبرانيّ عن معاذ رضي الله عنهم جميعاً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ظهر لنا ذلك عند إقدامه على مُساعدة قريبه الإسرائيليّ وقتله للقبطيّ، ثمّ تصديقهُ السّريع للرَّجُلِ المؤمِنِ الذي جاء يُحذِّره من تآمُرِ القومِ عليه، إذ لم يخطُر ببالِهِ قطُّ أن يكون الرّجل كاذباً في كلامه، بل رأيناه يتركُ كُل شيءٍ ويُسرِعُ بالهربِ بلا طعامٍ ولا لباسٍ ولا أيِّ اسْتعدادٍ، بل إنَّه لم يرجع إلى أهله ليُعْلِمَهُمْ بالأمرِ حتّى لا يقلقوا بشأنه.

إذاً كان موسى سريع الغضب، والمَهَمَّةُ التي هو بصددِها عسيرةٌ تحتاج إلى قُوَّة ضبطٍ للأعصاب، وانشراحِ صدر، فالإنسان حين يُقابل الأحداث والمسؤوليات بانقباضِ صدرٍ يعينها على نفسه فيفشل في مُهمَّته. ولكن عندما ينشرح صدره لها ينجح فيها أيّما نجاح لأنها تصير يسيرة.

وحتّى يُصبح قادراً على مُخاطبة النّاس بسهولة، دعا الله أن يَحلُلَ عُقدةً من لِسانه ـ عُقدةً واحدةً ـ لم يقل له: ربِّ واحْلِل عُقَد لِساني كُلّها، حتّى لا يكون في ذلك اعتراض على قَدَر الله، ولكن عُقدة واحدة فقط حتّى يفهم النّاس كلامه، دعا ربّه أن يشرح صدره، ويَحْلِل عُقدةً من لِسانه ليفقهوا قوله؛ لأنّه يخاف إن كَذَّبوه أنْ يضيق صدره، وإذا ضاق صدره فإنّه ينحبس لِسانه ولا ينطلق، وعندها لا يقوم بالبلاغ والبيان[1]!

إنّ الآيات في سورة الشّعراء تدلّ على ذلك قال تعالى: ﴿...إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: ١٢ ـ ١٣] توضح المراد بالعُقدة في آيات سورة طه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾.

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٧٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمواقف الصّعبة التي يمرّون بها، ويتفاوتون في التّفاعل مع مشاعر الخوف والقلق والانفعال عندما يواجهون تلك الأحداث والمواقف.

فمثلاً: الشّخص الهادئ يستقبل هذه المواقف بأعصاب هادئة، فلا ينفعل كثيراً، ولا تتوتّر أعصابه، ولا يتسارع نبضه، ولا تحتدّ مشاعره، ويبقى مُحتفظاً بهدوئه وأناته، ويتكلّم بهدوءٍ وتأنّ، ويضبط كلماته، فتخرج من لِسانه واضحةً فصيحةً مسموعة(١).

سامي: ... مثلك يا أبي...

جميل وأحمد: تأكيداً على كلام سامي... نعم؛ ولله الحمد في ذلك...

جميل: هذه صفات الشّخص الهادئ فما هي صفات الرجل المُنفعل؟

الأب: نعم؛ تحدَّث د.صلاح الخالديّ عنه فقال: الشّخص المُنفعل يستقبل المواقف الصعبة بأعصاب مشدودة، فتحتدّ مشاعره، ويتسارع نبضه، وتتلاحق أنفاسه، وينفعل انفعالاً عالياً، ويؤدّي هذا الانفعال إلى خفض صوته، عندما يُحاول التكلُّم فإنّ الهواء ينحبس في رئتيه، ولا يصل إلى جهاز النطق، ولهذا تضيع منه الكلمات!!

وإذا لم يصل إلى هذه الحالة، فإنّه لا يوضّح كلماته، لأنّه يتكلّم بسرعة... أنفاسه مُتسارعة ونبضه مُتلاحق...

هذان النّموذجان موجودان مُكرَّران في حياة البشر، فالأوّل: يتّصف بالإفصاح والبيان المبنيّ على الهدوء وعدم الانفعال، والثّاني: يتّصف بعدم الإفصاح والبيان، بسبب ضيق الصّدر وانحباس اللِّسان(٢).

ثمّ تابع **الأبّ** السرد وقال:

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٠.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٠ بتصرّف.

وكان هارون عليه السلام يتمتّع بشخصيّة هادئة، ويتّصف بهدوء الأعصاب، وعدم الانفعال في المواقف، ولهذا كان يتحكَّم في كلامه وأنفاسه ومشاعره، فيخرج كلامه واضحاً فصيحاً مُتأنيّاً هادئاً مسموعاً.

وإنّ موسى عليه السلام يعرف لأخيه هارون عليهما الصّلاة والسّلام هذه الصّفة، وأنّه أهدأ من موسى بكثير، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا(١) يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤].

أمّا موسى فكان من النّوع المُنفعل عند المواقف، وموسى عليه السلام يعرف هذا من نفسه، لهذا سأل ربّه أن يشرح له صدره وأن يُطلق لِسانه، لكي يفقه قومه ما يقول من رسالة ربّه(٢).

الأمّ: في النهاية كانتِ الغايةُ لموسى في إشراكِ أخيهِ معهُ هي تسبيحُ الله وشكرُه: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [طه: ٣٣]، وقد قال بعضُ الصّالحين: «لا يكون العبدُ مِنَ الذّاكرين الله كثيراً حتّى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطّجعاً»(٣).

سامي: هل لبّى الله طلَبَ موسى؟

الأمّ: أجل؛ فما كاد موسى يُنهي كلامَه حتّى قال له رَبُّه: ﴿... قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٣٦ ـ ٣٧].

لقد لبّى الله طلبَ موسى واستجاب دعاءَه حالاً. فقد قال ابنُ عبّاس: نُبِّئَ هارونُ ساعتئذٍ حين نُبِّئ موسى، عليهما السلام. وتابعتِ **الأمّ** كلامها بعد أن أخذت لنفسِها دقيقةَ صمتٍ: ﴿مَنَنَّا﴾، أي: أحسنّا. بعد هذا بدأ الله سبحانه وتعالى يُذكِّر موسى بالصِّعاب التي مرَّ بها وكادت تُحِيقُ به وتقضي عليه ـ إلّا أنّ

---

(١) ردءاً، أي: يبين لهم عني ما أكلمهم به.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٣ ـ ٣٨٤ بتصرّف.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن**، الجزء الثّالث، ص١٤٠.

الله أنجاهُ منها ـ منذ مولده وإلقاء أمِّهِ له في اليمِّ حتّى اللّحظةَ التي وقف فيها يُكَلّمه. وهذا من ضِمنِ ما يُسمِّيه المُحدِّثون: «حديثَ الفُتونِ» نسبةً لقولِه تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

فقد أخبر التّابعيُّ سعيدُ ابنُ جبيرٍ أنّه سأل الصّحابيَّ عبدَالله بنَ عبّاس عن الفتون، فحدّثه حديثاً طويلاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، لن أخبركُم به فهو يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ، ولكنّي سأعدِّد لكم تلك الفتونِ:

ـ حملُ أمِّه به في عامِ الذّبح...

ـ وقوعُه في قصرِ فرعون بين أيدي الذَّبَّاحين وتخليصُ زوجةِ فرعونَ له...

ـ قتلُهُ للقبطيِّ وإنذارُ الرَّجلِ المؤمنِ له ونصيحتُهُ له بالهربِ...

وغيرها...

جميل: وما معنى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

الأمّ: أي: إنّ مجيئَك اليومَ مِن مَدين إلى مِصر لم يكُنْ مُصادفةً، بل هو مُسجَّلٌ منذُ الأزلِ، فَقَدَرُك هو الرّسالَةُ والنُّبوّةُ، وأن تكونَ كليمَ اللّهِ. لـذا فـ: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤].

أعاد الله ﷻ أمرَه على الأخوَيْن وطلَبَ منهما الإكثارَ من ذكرِهِ، ودعوةَ فرعونَ لعبادةِ الله، على أنْ لا يُكلّماه بشدّةٍ، بل بالتي هي أحسن لعلّهُ يهتدِي أو يرتدعُ عمّا هو فيه. وهذا الأمرُ ـ دعوةُ النّاسِ بالحُسنى ـ هو الذي مدَحَ ربُّ العالمين سيّدَنا محمّداً ﷺ لأجلِه إذ قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولكنَّ الخوفَ الذي فرضَهُ فرعونُ على بني إسرائيلَ ظلّ مستولِياً على موسى وهارون، فهما وُلِدا وعاشا، أي: نشآ خائِفَيْن مرعوبَيْن، والخوفُ لا يخرُجُ مِنَ القلبِ بسرعةٍ، والله سبحانَهُ وتعالى يعلم هذا، حتّى ولو لم

يُعبِّرا عنه، وهُما يعلمان أنّه علّامُ الغُيوبِ، ومعَ هذا أقَرّا بخوفِهما: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ [طه: ٤٥]، فطمأنهما إلى وجودِهِ بجانبِهما يُعينُهما ويقوِّيْهما ويحميهما مِن أذى فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ [طه: ٤٦ ـ ٤٨]. وقال الله أيضاً لموسى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾ [القصص: ٣٥]. ومَن كان الله معَه فلا يخاف ولا يخشى، ويجب عليه في هذه الحال أن ينشرحَ صدرُه ويُقبلَ على ما يُكَلَّف به بِهِمَّةٍ ونشاط.

جميل: إذاً، فالهدفُ من رسالة موسى إخراجُ بني إسرائيلَ وتخليصُهم من قَهْرِ فرعونَ وبلادِه.

الأمّ: هذا صحيح، ولكن أيضاً هُناك هدفٌ آخرُ وهو دعوةُ فرعونَ ومن ثُمّ شعبِهِ للتّوحيدِ، أي: عبادةُ الله الواحدِ، ونبْذُ عبادةِ العبادِ.

ثمّ قالت: لقد تكرَّرَتْ قِصَّةُ سيّدِنا موسى في القرآن الكريم في أكثرِ من سورةٍ، ولكنْ لم يرِدْ في أيٍّ منها كيف التقى موسى بأهلِه، وكيف تنبَّأ هارونُ، ولا كم مضى مِنَ الوقتِ حتّى وصلا إلى فرعون وكيفيةُ دخولِهما علَيْه.

جميل: هُناك شيءٌ آخرُ لم يُذْكَرْ في القرآنِ. ماذا حَدَثَ لزوجةِ موسى التي كانت بانتظارِ أن يأتيها زوجُها بقبَسٍ مِنَ النّارِ لتتدفّأ؟

الأمّ: هذا صحيح، ولكنّه لم يرِدْ لأنَّهُ غيرُ مُهِمّ، فليس له تأثيرٌ في عمليَّةِ الدَّعوة، لا مِن قريبٍ ولا من بعيد، فزوجَةُ موسى ابنةُ رجلٍ صالح، نبيٍّ من أنبياءِ الله، ولن تعترِضَ طريقَ زوجِها أو تمنعَه مِنَ الدّعوة.

سامي: ما عَلاقة كونِها ابنةَ رجلٍ صالح بهذا الأمر؟!

الأمّ: هذا معناه أَنّها تربَّت في بَيْتٍ مؤمنٍ بالله ينفِّذُ أوامِرَه ونواهيه، وتعرِفُ أنّ أوامِرَ الله لا يملك أحدٌ عِصيانَها، وإلّا سيصيبُه الغضَبُ الإلٰهيّ، كما حَدَث مع أهل مَدْيَن. لهذا لن تَقِفَ في وجه الرّسالة التي كُلِّف بها زوجها.

هُنا قالت لهم والدتهم....

هيَّا إلى غُرفكم، نُتابع القصّة غداً بإذن الله... فلا زالت القصّة طويلة... ولدينا مُتَّسع من الوقت... وعلينا إكمال تجهيز غُرفة الضُّيوف لقُدوم جدّتكم وجدّكم...

الأولاد... بِمَضَض... تُصبحين على خير.

نُتابع غداً بإذن الله تعالى... وسنُساعدك في تجهيز غُرفة الضُّيوف...

* * * * * *

قصة رقم ٢٠

موسى عليه السلام
ومواجهته لفرعون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون

نفّذ الأولاد ما اتّفقوا عليه مع والديهم من مساعدة والدتهم في تجهيز غرفة الضّيوف، لحضور جدّهم وجدّتهم في نهاية الأسبوع، للمكوث فترة الشّتاء في ضيافة ابنهم. وكم اشتاق الأولاد لجدّهم وجدّتهم لسرد الأحاديث التي تذكّرهم بطفولة والدهم وطفولتهم...

في المساء، وكالمعتاد في عطلة الفصل الأوّل من العام الدّراسيّ، تمّ تجهيز الشّرفة وتجهيز الشّاي السّاخن مع إضافة بعض المعجّنات وأقراص الحلوى الهشّة.

احتسَوْا الشّاي بتمهّل مع أكلهم أقراص الحلوى الهشّة بانتظار والدتهم لتكمل لهم، قصّة موسى وهارون عليهما السلام وكيف سيواجهان فرعون الطّاغية.

الأمّ: استلمت دفّة الحديث مبتدئة بشكر أولادها لمساعدتهم لها بأعباء المنزل، خاصَّة بعد معرفتهم بحملها، ثمّ تابعت حديثها:

قبل البدء بإكمال قصّة موسى عليه السلام أودّ أن أوجّه لكم المبهمات في حياة موسى وهارون عليهما السلام.

أحمد: أنا أعرف بعضاً منها هلّا أسرد إحداها؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمّ: تفضّل بنيّ بارك الله بك.

أحمد: لم تذكر الآيات شيئاً عن هارون عليه السلام سوى أنّه أخ لموسى.

الأمّ: نعم؛ أصبت، وزيادة عليه متى ولد فلا نعرف عنه شيئاً، كما لا نعرف من الأكبر فيهما هارون عليه السلام أم موسى عليه السلام، ولا كيف نجا من قتل جنود فرعون، ولا كيف ولا أين كانت نشأته. ويبدو أنّ هارون بقي في عاصمة مصر مقرّ فرعون، عندما أقام موسى عليه السلام في مدين عشر سنوات.

ولا نعرف عنه إلّا ما قاله موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾.

الأب: نعم؛ ولا نعرف سوى أنّ موسى عليه السلام طلب أن يكون هارون له وزيراً: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾، يساعده في هذه الدّعوة إلى الله. واستجاب الله لموسى عليه السلام فهو النّبيّ الرّسول، المكلّف بالرّسالة، وهارون هو نبيّ، وهو وزير لموسى ردءٌ ومساعد له، قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥].

أي: نشدّ عضدك وأزرك، بأخيك هارون، وسنبعثه نبيّاً معك، ونجعله وزيراً لك، وسنعطيك أنت وأخاك الآيات والأدلّة والبراهين، وسنجعل لكما السّلطان، وسننصركما ونؤيّدكما، بحيث سيعجز فرعون وقومه عن الوصول إليكما، ونجعلكما غالبين لهم[1].

الأمّ: تحدّثنا في القصّة السّابقة (الجزء الرّابع) عن علم الله الأزليّ، وقلنا أنّ الله عَزَّ وجَلَّ عَلِمَ ما كان وما يكون وما لم يكن كيف كان يكون، علم الله من الأزل أنّ هارون يكون نبيّاً، وشاء سبحانه وتعالى، أن يبعثه نبيّاً

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص ٣٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعلاً بعد طلب موسى عليه السلام، فيكون موسى عليه السلام سبباً في نبوّة هارون عليه السلام وموسى بذلك كان أنفع أخ لأخيه[1].

لقد ورد ذلك في حديث رسول الله ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أنّها خرجت لأداء العمرة، فنزلت ببعض الأعراب، فسمعت رجلاً يسأل آخر: أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه؟ فقال: لا أدري. فقال السّائل: أنا والله أدري، إنّه موسى حين سأل النّبوّة لأخيه هارون.

وعلّقت عائشة رضي الله عنها قائلة: صدق والله. قلت: وفي هذا قال الله تعالى في الثّناء على موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[2].

الأب مستطرداً: هذا فقط ما ذكر في القرآن الكريم عن هارون عليه السلام. وقبل أن يغادر موسى عليه السلام جبل الطّور ذكّره الله بنعمه عليه، ورعايته في حياته، منذ ولادته، حتّى مجيئه إلى هذه البقعة المباركة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰٓ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٣٧ ـ ٤٣].

ذكّر الله موسى برعايته له وإنعامه عليه، لينشّط موسى في القيام بالواجب، ويتحمّس في الدّعوة إلى الله[3].

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٨.
(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الثّالث، ص١٥٥.
(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩ بتصرّف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سامي: ما معنى ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾ لم يكمل سامي الآية....

الأب: عرفت أنّك ستسأل....

الجميع ابتسم لهذه اللّفتة....

الأمّ: أنا سأشرحها لك من بعد إذن والدكم....

الأب: تفضّلي.

الأمّ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾، أي: ابتلاه بعدّة ابتلاءات، وامتحنه بعدّة امتحانات، وأوقعه في عدّة محن، وحفظه ورعاه حتّى تجاوزها.

جميل: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾؟؟

الأمّ: نعم؛ سأشرحها!! ولكن أسرعت في السّؤال ولم أكمل بعد، لأنّنا لم نشرح سابقاً معنى ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾، بل تحدّثنا عن أنواع الصّبر، ومنها صبر سيّدنا أيوب عليه السلام، أي أنّنا يجب أن نتوقّف عند معانيها، لأنّها ستمرّ بنا نحن أيضاً....

تتابع **الأمّ** سردها برويّة وتقول: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾، أي: امتحنّاك امتحاناً شديداً صعباً، فيما مضى من عمرك، بالمكاره، وبالشّهوات، فنجحت في امتحانك، إذ كنت صبوراً، محافظاً على حدود الله تقيّاً، ولا يخفى ما في القصور الملكيّة من مغريات مزلقات[1] فيها امتحان عظيم للإرادات، ولا سيّما تجاه فتن الشّهوات[2].

أحمد: كما حدث مع سيّدنا يوسف عليه السلام وكيف أنّه كاد يُفْتن لولا أن رأى برهان ربّه، وكم كانت روعة قصّته أيضاً، فهو قد تعرّض لجميع الابتلاءات والفتن.... ونجّاه الله تعالى بعد صبره وإيمانه...

---

(١) مزلقات: مواضع لا تثبت فيها القدم.

(٢) الميدانيّ، حبنكة، **دقائق التّدبرّ ومعارج التّفكرّ**، الجزء الثّامن، ص١٠٨.

الأمّ: بارك الله بك بنيّ... لو أنّنا نربط مع كلّ قصّة ما حدث من الفتن والابتلاءات وكم صبر الأنبياء في الدّعوة إلى الله....

قاطعها **سامي**: ما معنى الفتنة؟؟

الأمّ: جيّد سؤالك! الفتنة: هي الابتلاء والامتحان والاختبار....

أحمد: هل أشرح أصل الفتنة فقد درسناها في بداية هذا العام في مادّة اللغة العربيّة، أصل الفَتْنُ: الصّهر بالنّار للمعادن ونحوها، يقال لغة: «فتن الصّائغ الذّهب»، أي: أذابه بالنّار، ليختبر ما فيه من خليط ليس ذهباً، أو ما فيه من شوائب.

أمّا «فتوناً»: فهي مفعول مطلق، ويفهم من التّنكير هنا على ما يرى البلاغيّون مع القرينة، أنّه كان فتوناً شديداً وصعباً على النّفوس، فالمعنى: وفتنّاك فتوناً شديداً صعباً، وبهذا عَلِمنا مدى صلاحيّتك لتحمّل أعباء الرّسالة[1]....

هنا صفّق الجميع لأحمد تشجيعاً وانبهاراً من الوالدين على حسن شرح أحمد وما يدرسه من دروس اللغة العربيّة التي تزيد على فهم معاني آيات الله ﷻ.

الأب: هذا وإن دلّ على شيء، فإنّه يدل على انتباه أحمد في الصّفّ لما يشرحه أستاذ اللّغة العربيّة، والأهمّ أنا متأكّد أنّه سأله هذا السّؤال ليجيب هو على سؤاله، بارك الله بك بنيّ مع الدّعاء لك ولإخوتك أن يفقهكم الله في دينه.

سامي وجميل يبديان الارتياح والابتسامة على وجهيهما مع القول آمين يا ربّ العالمين...

تكمل **الأمّ** سردها للقصّة: هذا معناه أنّ الله ﷻ اصطفى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسى عليه السلام رجلاً قويّاً من أولي العزم[1] ـ وقد شرحنا من هم أولو العزم سابقاً ـ فهو ذو صبرٍ وتجلّد وعقل راجح وحكمة في تصريف الأمور، مع إيمانه العظيم بربّه، وقنوته له، وخضوعه لأوامره ونواهيه، ورضاه بالمقادير.

الأب: هل لي أن أكمل عنكِ حتّى لا تتعبي.... ونظر إليها بعين الودّ والاحترام!!

الأمّ: تفضّل أبا أحمد....

هنا تابع الأب السّرد وقال: أخبره الله عز وجل بأنّه قد اصطنعه لنفسه.... وهنا أجيب عن سؤالك يا جميل لأنّه مهمّ جدّاً وفي صلب توحيد الله عز وجل....

أخبر الله تعالى موسى أنّه جاء به على قدر.... أي: بعلمه الأزليّ.... وعلم الله عز وجل بما سيحدث لك في الأزل.... وسطّره في اللّوح المحفوظ، فكلّ ما حدث لك من أحداث وابتلاءات وفتن، ووصولك إلى جبل الطّور، ومكالمتك، ومنحك النّبوّة والرّسالة.... وصلت في زمن محدّد لك.... وفي مكان محدّد، وكلّ تحرّكاتك بمقتضى سابق علمنا بكلّ صغيرة وكبيرة من أمورك، ومنها حركة وصولك في الزّمان والمكان المقدّرين.

فأصل مادّة كلمة «القدر» يدور حول كلّ صغيرة وكبيرة قدّرها الله لك في علمه الأزليّ، وسطّرها في اللوح المحفوظ، وشاءها الله عز وجل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وخلقها الله لك وأمدّك بالقوّة بمدد من عنده تعالى.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) أولى العزم: سبق شرحها في الجزء الثّاني (في قصّة نوح عليه السلام).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتظهر هذه الصناعة في سورة طٰه في الآيات الدّالّة على أسماء الله ﷻ وصفاته العلا وأفعاله المتقنة لنتعرّف على قدرة الله ﷻ، حينما خلقنا لأجل مهمّة عظيمة، .أن نتعرّف على جبروت الله وعلى قدرته تعالى وعلى آثار حكمته، وعلى آثار رحمته، وعلى آثار عظمته. . . . فكلّها آيات دالّة على عظمة الله ﷻ من حين وضع موسى عليه السلام في التّابوت، إلى أن تلقّفه فرعون وجنوده. . . .

الجميع: سبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده. . . . سبحان الله وبحمده. . . سبحان الله العظيم.

يكمل **الأب**: نعم؛ من صفات الله ﷻ أن كلّم موسى تكليماً، وأن اصطنعه. . . و«صنع» صفة لله ﷻ، يوصف بها الله أنّه صانع كلّ شيء بإتقان ودقّة، حينما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

أمّا قول الله تعالى: ﴿لِنَفْسِى﴾ أمّا «النّفس» (بفتح الفاء)، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨ ـ ٣٠].
وقال جلّ ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].
وأخرج البخاريّ رحمه الله عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال: «**لمّا خلق الله الخلق، كتب في كتابه، وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العرش: إنّ رحمتي تغلب غضبي»[1]. وفي رواية أخرى له: «إنّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[2].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النّبيّ ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[3].

قال الرّاغب[4]: (نفسه): ذاته.

كلّ هذه الآيات ليبيّن الله ﷻ أنّه بعث موسى نبيّاً ورسولاً، وكلّفه بالذّهاب هو وأخوه إلى فرعون، لينقذ بني إسرائيل من عبوديّته ويعيدهم إلى بيت المقدس، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٦ ـ ٤٧].

---

(١) أخرجه البخاريّ، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، حديث رقم: (٣١٩٤)، وكتاب التّوحيد، حديث رقم: (٧٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاريّ، كتاب التّوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾، حديث رقم: (٧٥٥٤).

(٣) أخرجه البخاريّ، في كتاب التّوحيد، حديث رقم: (٧٤٠٥)، و(٧٥٠٥) و(٧٥٣٧)، أخرجه مسلم: ٢٦٧٥.

(٤) ترجمة الرّاغب: توفي ٥٠٢هـ، أبو القاسم الأصفهانيّ، المعروف بالرّاغب، سير أعلام النّبلاء، الجزء الثّاني، ص٢٧٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا انتهت تلك الدّقائق المباركة في الوادي المقدّس طوى، وغادر موسى عليه السلام المكان عائداً إلى أهله الذين كانوا بانتظاره، لكنّه عاد لهم نبيّاً رسولا، مكلفاً مع أخيه هارون، مزوّداً بآيات بيّنات، منها العصا واليد(١).

ووصل موسى عليه السلام بأهله إلى مصر... وأخبر هارون عليه السلام أنّه نبي رسول من عند الله، وأن الله عز وجل جعل هارون نبيّاً وزيراً مساعداً له.

الأمّ: ألا نرتاح اليوم ونكمل غداً؟ فأحداث القصّة مشوّقة للغاية وهي طويلة لن يكفينا الوقت لإتمامها... وإلّا سنظل للفجر نرويها.

ضحك الجميع فروّحوا على أنفسهم على أن يكملوا رواية القصّة غداً.

سمع الأولاد كلام والدتهم وبصوت واحد قالوا: تصبحون على خير

بمضض لتشوّقهم معرفة ما سيحدث لموسى عليه السلام مع فرعون....

في اليوم التالي، قام الجميع لصلاة الفجر كالمعتاد وذهبوا مع والدهم إلى المسجد لأداء صلاة الفجر مع الدّعاء لله عز وجل لوالديهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ مع الحرص على الأذكار التي وردت بعد صلاة الفجر....

وعادوا إلى النّوم في هذا اليوم، فليس في النّوم بعد الفجر حرج، لحاجتهم للنّوم ما دام اليوم يوم عطلة... وليجهّزوا أنفسهم لمساعدة والدتهم في إعداد الطّعام...

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٣٨٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنهى الجميع جميع واجباتهم مع أداء صلاة المغرب والعشاء، وجَهّزوا أنفسهم لسماع قصّة موسى عليه السلام فقد بدأت الأحداث تتطّور وتحفّز على الاستماع.... وبعد تجهيز أكواب الشّاي السّاخنة وجلوسهم المعتاد على الأرائك....

بدأت **الأمّ** بالسّرد....

ذهب موسى وهارون لتنفيذ الأوامر الإلٰهيّة، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٦].

جميل: عذراً... ما معنى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾؟

الأمّ: جيّد هذا السّؤال؟ المراد أنّهما لا يفتران في ذكر الله. بل يذكران الله في مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوّة وسلطاناً لهما(١).

تتابع **الأمّ** سرد القصّة قائلة: المهمّ من تلك الأقوال أن يتذكّرا قوّة الله وعظمته كما قال والدكما، ويتذكّرا أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته، لمواجهة فرعون... والأهمّ من ذلك أن يقولا له قولاً ليّناً ويدعواه إلى الله بكلام رقيق سهل، لعله يرجع عمّا هو في الضّلال والهلكة، أو يخشى الله.

نفّذ موسى وهارون عليهما السّلام أمر الله، وتوجّها إلى فرعون، ليبلّغاه الدّعوة، ويقيما عليه الحجّة، وزال عنهما الخوف منه، بعد أن طمأنهما الله بأنّه معهما، يحفظهما من بطش فرعون وآله، فلن يؤذوهما: قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثّالث، ص١٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥].

ولم ترهبهما قوّة فرعون، لأنّهما مزوّدان بقوّة الإيمان واليقين، ودخلا على فرعون بعزّة، وخاطباه بجرأة وشجاعة وكرامة، وبلّغاه ما أمرهما الله بتبليغه إيّاه[1]. وقالا له: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦ ـ ١٧].

جميل: هذا يعني أنّ الهدف الأساسيّ من إرسال سيّدنا موسى عليه السلام هو أن يرسل معه بني إسرائيل؟

الأب: هدفه هو الخروج ببني إسرائيل: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]. وقال تعالى في سورة الأعراف كيف خاطب موسى عليه السلام فرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤ ـ ١٠٥].

الأمّ: نعم؛ هذا هو هدفه الأساسيّ، فبعدما عاش بنو إسرائيل في مصر بعد هجرتهم من بيت المقدس في زمن يوسف عليه السلام.... عاشوا في أمان وسلام إلى أن جاء فرعون فعذّبهم وسبى نساءهم وقتل أبناءهم... هذا هو الهدف الأساسيّ أن يعيدهم مرّة أخرى إلى بيت المقدس موطنهم الأصليّ، موطن سيّدنا إبراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب عليهم السّلام بيت المقدس الذي بناه إبراهيم عليه السلام بعد ٤٠ عاماً من بنائه الكعبة المشرّفة.... ألم نقل هذا الكلام في القصص السّابقة؟ عقّب الجميع: نعم.

جميل: فقط كنت أسأل ألم يأتِ لدعوة فرعون إلى توحيد الله؟

الأمّ: نعم؛ خلال الآيات البيّنات التي أرسلها الله عزّ وجلّ مع موسى

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٠٣.

(٢) طه: ٤٧ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عليه السلام مثل العصى، واليد.... وسنرى بقيّة الآيات من خلال حديثنا عمّا فعله فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل لاحقاً.

أحمد: أنا أعرف! ولكن سأترك الأمر ليأتي مع سياق القصّة... ويتابع **أحمد** قوله: ولكن أوّل ما بدأ به هو قول الله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال أيضاً: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.... والأهمّ من ذلك قال تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

والهدف هو الرّدّ على فرعون الذي ادّعى أنّه ربّ العالمين... كأنّ موسى عليه السلام يقول لفرعون أنت لست ربّ العالمين، وربّ العالمين هو من أرسلني رسولاً إليك لأخرج معي بني إسرائيل وأعيدهم إلى موطنهم الأصليّ بيت المقدس.

فما عليهم إلّا أن يؤمنوا بالله الواحد القهّار أوّلاً... وثانياً يخرج معه بني إسرائيل....

صفّق الجميع لاستنتاج أحمد وخاصّة الوالدين لشعورهما بالارتياح لما وصلا إليه من خلال سرد القَصص لأبنائهم... وأهمّيّة سردها... فها هو أحمد أصبح عمره (ستة عشر عاماً) في الصّفّ العاشر وبدأ بالتّحليل والاستنتاج ليصل بعدها إلى حسن التّفكّر وبعدها تدبّر آيات الله عزّ وجلّ.

سامي: أكملا وماذا حدث بعد ذلك؟

الأمّ: فوجئَ فرعون بهذا الكلام الذي يسمعه لأوّل مرة، وأدرك ما فيه من خطورة عليه، إنّه ليس ربّاً ولا إلٰهاً إذن، وهذا الرّجل هو الرّسول، فهو القائد للرّعيّة، وهو يريد أن يخرج ببني إسرائيل من مصر، ولهذا الخروج آثار خطيرة مدمّرة على مصر.

أحمد: هل تعرفون السّبب؟ فأنا أعرفه.

الأمّ: نسأل جميل هل يمكنه معرفة ذلك؟

جميل: كنت أفكّر في بداية القصّة، ألم تقولي أنّه جعلهم عبيداً عنده؟!... وأنا أفهم معنى عبد إنّه يعمل من غير أجر والأهمّ لا يرفض له طلب...

الأمّ: بارك الله بك يا بنيّ لقد أصبت ولك منّي هدية ألا وهي قبلة على وجنتك...

ضحك الجميع من مبادرة الأمّ... ولكنّ جميل قال: لا... أريد فعلاً هديّة... ومرّت هذه الفكاهة للتّرويح عن أنفسهم.

وعاد **أحمد** ليقول: نعم؛ إذا خرج بنو إسرائيل. من سيخدم الفراعنة بعد خروجهم؟...

الأمّ: والأهمّ من هذا كلّه هو فرعون بحدّ ذاته إنّه ليس ربّ العالمين، فمن يطيعه من رعيّته بعد معرفتهم بهذا الأمر؟!

تتابع.... ونظر فرعون في الذي يحدثه، واستذكر ماضي موسى عليه السلام، وخاطبه ممتنّاً عليه بتربيتهم له في صغره، وذكّره بفعلته التي قتل فيها القبطيّ. وقال له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨ ـ ١٩]، لقد نظر فرعون إلى موسى عليه السلام نظرة احتقار وازدراء، فلم يتعامل معه باعتباره رسولاً معه الحقّ، وإنّما نظر إليه باعتباره إسرائيليّاً من بني إسرائيل، وقومه أذلّاء مهانون، عبيد للمصريّين، فمن هو حتّى يواجهه هذه المواجهة؟! ويخاطبه بهذه اللّغة؟ ويدعوه إلى أن يتّبعه ويسير معه... فهو يعتبر موسى عليه السلام ناكراً للجميل، حيث ربّاه صغيراً، وأنّه من الجاحدين الذين جحدوا بالنّعم، فقد أحسن إليه حينما ربّاه في قصره وهو وليد صغير....

جميل: قبل أن تفسّري كلام سيّدنا موسى عليه السلام، لديَّ سؤال؟ لماذا اتّهم فرعون موسى بالكفر بينما في الحقيقة هو الكافر، فهو لا يعبد الله!

الأمّ: الاتّهام الذي وجّهه فرعون لموسى عليه السلام، يعني أنّ موسى كان كافراً بفرعون وبالنّعم التي أنعم بها عليه حين ربّاه في قصره....

ويعتبر فرعون أنّهم اهتموا به حتّى صار شاباً... ولكنّه قابل الإحسان بالإساءة، والإنعام بالجحود والكفران، فيذكّره قائلاً: عدوت على رجل منّا وقتلته! أهكذا تجازي إحساننا؟ لقد كنت كافراً لنعمتنا، جاحداً لفضلنا، عندما فعلت فعلتك وارتكبت جريمتك[1]!!

تابعت **الأمّ** السّرد:

اعترف موسى عليه السلام بأنّه قتل، وبأنّه كان في ذلك الوقت: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

والمراد بالضّلالة هنا الحالة التي كان عليها قبل الوحي، وهي حالة جهل لعدم وجود أحكام وتشريعات.

ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضّحّاك وغيرهم: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: وأنا من الجاهلين.

وقال ابن كثير: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: قبل أن يوحي الله إليّ وينعم عليّ بنعمة النّبوّة والرّسالة[2].

ثمّ تابع موسى عليه السلام اعترافه قائلاً: ففررت منكم لمّا خفتكم، أي: لمّا قتلت الرّجل خفت أن تقتلوني، ففررت منكم قبل أن تدركوني وتلقوا القبض عليَّ، وذهبت إلى مدين، وأقمت هناك عشر سنين، وبعدها آتاني الله العلم والحكمة، ومنّ عليّ بالنّبوّة والرّسالة، وجعلني رسولاً نبيّاً، بعثني إليك يا فرعون، فإن أطعتني وأسلمت ربحت وفزت، وإن رفضت وكفرت خسرت وخبت[3].

ثمّ واجهه بالحقيقة التي يحاول إخفاءها جميع المحيطين بهذا

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٠٦.
(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص ٤٠٧.
(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٠٧.

الملك: هل تربيتك لي في بيتك تجيز لك استعباد بني إسرائيل، وزرع الرّعب في قلوبهم واستنزاف قواهم بقتلك ذكورهم واستحيائك نسائهم؟ هل يحقّ لك أن تظلمهم وتفسد حياتهم؟ فكيف تمنّ عليّ بعد ذلك بأنّكم ربّيتموني عندكم؟

وقال ابن كثير في معنى هذه الآية: ما أحسنت إليّ وربّيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرفهم في أعمالك ومشاقّ رعيّتك، أفي إحسانك لرجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ لا يساوي ما فعلته معي ما فعلته بهم[1]!

الأب: أكمل عنكِ السّرد لترتاحي قليلاً...

قال أبو أحمد: سأقف على قول الله تعالى: ﴿عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أنّه كان يُعَبِّدُ بني إسرائيل له، ويجعلهم خاضعين له، وكأنّه جعل نفسه ربّاً لهم، وجعلهم عبيداً له.

سامي: لم أفهم؟!

الأب: كأنّهم أصبحوا ملكاً له يقول لهم افعلوا ولا تفعلوا، وهم يجيبونه... لأنّه يعذبهم إن لم يفعلوا وحتّى كانت تصل به الجرأة إلى قتل الأطفال وكان يعذّبهم عذاباً شديداً.

والأهمّ من ذلك هو أنّه معتبر نفسه ربّ العالمين فله الحقّ بأن يضع تشريعاً لم يشرّعه الله، واعتبر نفسه الحاكم، هو يحكم بين بني إسرائيل، وهو له الحقّ في قتل الأبرياء، وله الحقّ في استحياء النّساء، وله الحقّ في سلب حرّيّتهم، وله الحقّ في رزقهم... وهذه كلّها من صفات الرّبّ جلّ جلاله هذا معنى عبد، أيّ: هم ملك لفرعون يتصرّف بهم كما يشاء، والأصل في الإنسان أنّه عبد لله ﷻ هو وحده لا شريك له يحيي ويميت،

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء الثّالث، ص٣٤٥.

وهو الرّزاق الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى وله الصّفات العلا، لذا نجد في قصّة موسى عليه السلام تبيان هذا الأمر في كلّ مرحلة من مراحل حياته، حينما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ و﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ و﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ و﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾، نعم؛ الله جلّ جلاله هو من قال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٧ ـ ٣٩]. هو ربّ العالمين وحده المربّي... وحده له التّربية الخالصة والمدد بكلّ النّعم التي يُنعم الله بها على من هم عبيد لله.... نعم نعم نعم؛ لو ظللت الليل كلّه أتحدث عن معنى العبوديّة لله وحده لا شريك له لن يكفينا اليوم.

تابع **الأب** السّرد من حيث توقّف فقال: بعدما ردّ موسى عليه السلام على فرعون استصغاره له، وأنكر عليه تعبيد بني إسرائيل له، وبعدما سمع فرعون كلام موسى عليه السلام عن أنّه رسولٌ من الله ربّ العالمين، سأله عن ربّه قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ هو ربّنا الخالق العليم القدير الحكيم، خلق كلّ المخلوقات الحيّة، وهدى كلّ مخلوقٍ منها إلى حياته، وأرشده إلى حسن التّصرّف فيما حوله، وألهمه كيفيّة التّعامل مع تلبية حاجاته، سواء كان هذا المخلوق إنساناً أو حيواناً أو طيراً أو حشرة أو سمكة...

فكلّ هذه المخلوقات هداها الله إلى وظيفتها هداية بالفطرة، فهي تعرف ما تريد، وتعرف كيفيّة الحصول على ما تريد، وتعرف الله خالقها، وتؤمن به وتسبّحه[1].

سأله فرعون فقال: فما بال القرون الأولى؟

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٠٩.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

أي: ماذا فعل الله بالسّابقين الذين كانوا قبلنا؟ فمنهم من آمن بالله ربّك يا موسى، ومنهم من كفر به[١].

أجابه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، أي: علم تلك القرون عند ربّي في كتاب[٢]، فالله هو الذي أنهى أعمارهم، وسجَّل في كتابٍ عنده أعمالهم، وسيجزيهم عليها بحسبها، فيجزى المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته[٣].

الأمّ مقاطعة الوالد: عذراً فقط أودّ تسليط الضّوء على أهمّيّة معرفة أنّ هذا الدّين واحد لجميع الأنبياء وأنّ الله ﷻ حين عرض الأمانة[٤] على السّماوات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان، بيّن الله ﷻ ما هي الأمانة، ألا وهي أن يوجّه لهم كتاب بفعل أشياء، وترك أشياء، على خلاف، رغباتهم، وشهواتهم، وأهوائهم، وعلى أن يتاح لهم أشياء لتلبية مطالب حاجاتهم، وأعلمهم مصير من عصى أوامر الله ﷻ ما هو مصيره....

أحمد: سبحانك ربّي وبحمدك، سيّدنا موسى عليه السلام هو النّبيّ السّابع عشر من الأنبياء الذين ذكرت لنا قَصصهم.... وكلّ قصّة تتحدّث عن توحيد الله ﷻ وعن أهمّيّة معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله....

وهذه القصّة بالذّات تتحدّث عن هذا الأمر بشدّة، لسبب واحد هو

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٠٩.

(٢) على الأستاذ العودة إلى **كتاب التّوحيد** (كما أنزل على قلب رسول الله ﷺ) خورشيد، شيرين، ص٢٧ ـ ٢٩ نشر علم الله الأزلي، وص٤٤ ـ ٤٥ لشرح كتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام.

(٣) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٠.

(٤) خورشيد، شيرين، **التّوحيد كما أنزل على قلب رسول الله** ﷺ، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م، ٧٨ ـ ٧٩ بتصرّف.

ادّعاء فرعون أنّه ربّ العالمين، والأهمّ جعله جميع النّاس عبيداً له. . . . لاحظت ذلك بحوار موسى مع ابنتي الرّجل الصّالح تارة، وحواره مع ربّه على جبل الطّور وحواره مع فرعون. . . . سبحان الله ... آيات واضحة بيّنة، مع ذلك في وقتنا الحاليّ هناك من لا يؤمن بهذه الآيات التي نتلوها الآن.

الجميع: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. . . .

تابع **الأب** السّرد: هذا ما قاله موسى عليه السلام لفرعون، قال: الله ربّي عالم بكلّ شيء، لا يضلّ عنه شيء من أعمال القرون الأولى، ولا يخفى عليه شيء منها، ولا ينسى شيئاً من تلك الأعمال وكلٌّ يحاسبه في الآخرة على عمله.

وإذا كان هذا فعله وعلمه بالقرون الأولى، فهذا هو علمه وفعله بكم أنتم أيضاً، فهو مطّلع على كلّ أعمالكم يا فرعون، وهو يسجّلها ويحصيها، ولا يضيع ولا ينسى شيئاً منها، وسيحاسبكم عليها، فليس أمامكم إلّا الإيمان بالله عزّ وجلّ وطاعته(١).

تابع موسى التّعريف على أفعال الله في الكون، وعَرضَ الأدلّة الدّالّة على وحدانيته، فقال لفرعون: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٣ ـ ٥٥].

الأمّ: سورة طٰه حسب النّزول رقمها ٤٥، ولقد ذكرت سورة الشّعراء ورقمها حسب النّزول ٤٧ كما ذكرنا سابقاً. . . .

جميل: أمّي ما الهدف من معرفة ذلك الآن مع قصّة موسى عليه السلام.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأب: صحيح ما قالته والدتك وهو يصبّ في صلب القصّة انتظر وسترى ذلك أكملي أم أحمد. . . .

تتابع **الأمّ** وتقول: في سورة طٰه كان الحوار موجزاً بين موسى عليه السلام وبين فرعون حول وحدانيّة اللّه[1]، أمّا في سورة الشّعراء فقد فصّلت قليلاً هذا الحوار، وفي أسئلة فرعون وإجابات موسى عليه السلام عليها.

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٣٣].

أراد فرعونُ أن يُظهِرَ لموسى كذِبَهُ وخداعَهُ وكفرَهُ فَتَحدّاهُ وقال له: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لقدِ استعمل أداةَ الشَّرطِ (إنْ) وهي أداة تُستَعملُ إذا كان فعلُ الشّرطِ غيرَ متوقَّعِ الحدوثِ أيّ: إن كان المتحدِّثُ لا يثِقُ بالنّتيجةِ، أمّا إنْ كانَ فعلُ الشَّرطِ متوقَّعاً فنستعملُ الأداة «إذا» بمعنى أن لو قال فرعونُ «إذا كنت مِنَ الصّادقين» فهذا يوحي أنّه مستعِدّ لتصديق موسى.

ولهذا قال رسول الله ﷺ عندما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ «نُعِيَتْ إليَّ نفسي، فإنّي مقبوض في تلك السّنة»[2]، وذلك لأنّ النّصر قد تمّ حقّاً، ومكّة فتحت حقّاً، والنّاسُ جاؤوا إليه زُرافات ووِحدانا ليُعلِنوا إسلامَهُم. وبهذا يكونُ قَدْ أتمَّ المُهِمَّةَ التي خُلِقَ لأجلها فلم يَتَبَقَّ له سِوى الاستغفارُ وانتظارُ الموتِ.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٢ بتصرّف.

(٢) تفرّد به أحمد، وتفرّد البخاريّ بحديث مثله عن ابن عباس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحمد: يا لَها من قِصّة مُثيرةٍ تحتاجُ إلى بعضِ أكوابِ الشّاي، فقد جفّ حلقي، وأعتقِدُ أنّكُم أيضاً مثلي شُدَّت أعصابُكم.

الجميع: أجل لقد شدَّتنا أحداثُ القِصّة، وطبعاً نكون لكَ من الشّاكرين إذا حضّرتَ لنا أكواب الشّاي بِنَفْسِكَ.

قام أحمدُ على صوتِ ضحِكاتِ الجميعِ ليَصْنَع الشّاي بشرطِ أن تتوقَّفَ أمُّهُ عنِ الكلامِ حتّى يعودَ لئلّا تفوتَه كلمة.

اِحتسَوْا أكوابَ الشّايِ بتمهُّلٍ فعاد إليهِمْ نشاطُهم وصاروا جاهِزين لِسَماع بقيَّةِ القِصَّة.

الأمّ: لا تظُنّوا أنّنا سنروي القصّة كلّها اليوم، فحياة سيّدنا موسى سلسلةٌ مِنَ المفاجآتِ والتّطوّرَات، وكلُّ مرحلةٍ مِنها تحتاجُ إلى جلسةٍ كامِلةٍ.

الأولاد: لا بأس.

الأمّ: كنّا نتحدّثُ عن وقوفِ سيِّدِنا موسى وأخيه هارون وبني إسرائيل في قصر فرعون لدعوته لاتّباعِ دينهم الذي يُقِرّ بالوَحدانِيَّة لله تعالى. وتحدّي فرعونَ لموسى أن يأتيَهُ بدليلٍ قويٍّ يُثْبِتُ نبوَّتَهُ، وصِدْقَ كلامِهِ. نَظَرَ الجميعُ إلى موسى ليَرَوا هذا الدّليلَ. كانوا جميعُهُم مبهورِين بالمُناظَرَةِ الدّائِرَة أمامَهُم بَيْنَ سلطانِ الحقِّ وطُغْيانِ الباطِلِ. لقد سمعوا فرعونَ عندما سأل موسى عن ربّه من هو: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٢]. كان هذا الكلام يتردّد صداه في أذهانِهم ومخيِّلاتِهم، فلم يكونوا قادرينَ على تخيُّلِ الآيةِ التي سيأتي بها موسى. لذا فما كاد موسى يُلْقي بالعصا أرْضاً حتّى راح الموجودونَ يتراكضون.

فوجئ فرعون بما يرى كما فوجئ الملأ حوله بما يرون: عصا خشبيّة

تتحوّل إلى ثعبان حيّ مبين، ويد موسى السّمراء عندما يخرجها من جيبه تخرج بيضاء ناصعة البياض!!

والثّعبان نوع ضخم من الحيّات. فالله الخالق هو الذي جعل الحياة تدبّ في العصا الخشبيّة، فتتحوّل إلى ثعبان، وهو الذي يسلبها الحياة بعد ذلك، ويعيدها خشبة يابسة كما كانت.

والله القادر الفعّال لما يريد، هو الذي يحوّل لون يد موسى السّمراء إلى لونٍ أبيضَ، تختلف عن لون جسمه الأسمر، ثمّ يعيدها سمراء كما كانت.

وإذا كان فرعون ربّاً كما يزعم فهل يقدر على ذلك؟ إنّه لا يقدر. وإنّهما آيتان بيّنتان على نبوّة موسى عليه السلام أيضاً، فالله هو الذي أجرى على يديه معجزة العصا ومعجزة اليد، وهذا تصديق عمليّ من الله لموسى في دعوى النّبوّة، وشهادة فعليّة من الله أنّه نبيّ رسولٌ عليه السلام[1].

تتابع **الأمّ** السّرد فتقول: هل تعلمون أنّ هناك اجتماعين لفرعون؟ الأوّل: مع موسى عليه السلام وهارون، والاجتماع الثّاني: مع موسى وهارون وملأ من قوم فرعون.

جميل: تقصدين حينما خاطبه في البداية عن ربّ العالمين في سورة طه!!!

أحمد: نعم؛ فقد قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٠].

الأمّ: بارك الله لكما في فقهكما للآيات.

نعم؛ كان هذا اللّقاء الأوّل، الدّالّ الصّريح لبيان وحدانيّة الله وأنّه ربّ العالمين؛ أمّا في سورة الشّعراء فإنّها توحي بأنّ الحوار بينه وبين موسى كان في جلسة موسّعة، حضرها الملأ من قومه، والملأ هم كبار رجال دولته، الذين يتولَّوْن حكم الدّولة باسمه.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٢١ ـ ٤٢٢.

ويبدو أنّ فرعون حرص على أن يحاور موسى أمام الملأ من قومه، ليعرّفهم على موسى ودعوته، ويضع أيديهم على مدى خطورتها عليهم، وذلك ليهيّجهم عليه، وينشّبهم في حربه.

ولذلك «صَعّدَ» فرعون حواره مع موسى وعلت نبرته، وارتفعت حدّة كلامه، وتخلّى عن هدوئه الظّاهريّ المصطنع الذي ظهر في حواره الأوّل، كما سجّلته آيات سورة طٰه ولجأ إلى أسلوب البطش والتّهديد والوعيد.

والملاحظ أنّ موسى عليه السلام بقي متمتّعاً بهدوئه في ذلك الحوار الثّاني الموسّع، كما بقي محافظاً على الموضوعيّة الحكيمة في الحوار والجواب والكلام، ولم يخرجه تهديد فرعون عن موضوعيّته وحكمته، كما أنّه لم يضعفه أمامه، فلم يَخَفْهُ، ولم يخشَ تهديده، بل بقي يواجهه بعزّة وشجاعة(١).

الأب: سورة الشّعراء ورقمها حسب النّزول ٤٧ وهي السّورة التي أُمر بها رسول الله ﷺ بأن يدعو قومه لتوحيد الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]. يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمّد ﷺ وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم، وذُكِرَ أنّ هذه الآية لمّا نزلت، بدأ ببني جدّه عبد المطّلب وولده، فحذّرهم وأنذرهم.... ففي سورة الشّعراء ذكر الله عز وجل قصّة موسى عليه السلام، ليخبر الله عز وجل محمّداً ﷺ ما فعله فرعون مع موسى عليه السلام وما فعله ببني إسرائيل، ويبيّن له أهمّيّة الصّبر، ودعوة المؤمنين للصّبر على أذى قريش، فها هم بنو إسرائيل ومعهم موسى عليه السلام صبروا وأُمروا أن يصبروا على أذى فرعون....

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٣.

لقد ذكر الله ﷻ في سورة الشّعراء قارون وهامان كبراء القوم. . . .

طرح فرعون على موسى سؤاله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟

ولا ننسى أنّ فرعون كان يُنكر وجود الله عناداً واستكباراً، وكان يدّعي أنّه ربّ العالمين: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ وكان يَعبّد قومه له[1].

أحمد: ما الفرق بين الآيتين؟

الأمّ: نعم؛ مهمّ جدّاً معرفة الفرق للدّلالة على أنّ هناك اجتماعين. . . .

الأب: نعم؛ لقد فاجأ موسى عليه السلام فرعون في لقائه الأوّل به بأنّ الله هو وحده ربّ العالمين، وهو الذي بعثه رسولاً إليهم، بعد أن سأله فرعون عن ربّه فقال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ [طه: ٤٩].

وفي اللّقاء الثّاني سأله فرعون: ما ربّ العالمين؟ وسؤاله ليس سؤال الباحث عن الحقيقة، الرّاغب في المعرفة، لكنّه سؤال المستنكر المستغرب، الذي يريد أن يبنيَ عليه التّهديد والوعيد، ويثير عليه الآخرين بالتّهييج. . . . وهنا كان السّؤال بلفظ «ما»: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

في اللّقاء الأوّل كان فرعون يريد أن يتعرّف على الله، لا ليؤمن به، لكن ليعرف فكر وعقيدة موسى. وكأنّه يقول لموسى: من ربّكما؟ ما فِعْلُه؟ فقال له موسى: ربُّنا الخالق، فهو الذي خلق كلّ شيء، وهداه إلى حياته.

وهنا في اللقاء الثاني يقول فرعون له: ما ربّ العالمين؟ أي: ما هذا الكلام الذي تقوله؟ وما هذا الذي تدعو إليه؟ ومن هو ربّ العالمين الذي تتحدّث عنه؟[2].

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٢١٣ ـ ٢١٤ بتصرّف.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٤ ـ ٤١٥ بتصرّف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحمد: ممتاز.... سبحانك ربّي أن هديتنا إلى تدبّر آياتك لنتعرّف على أهمّيّة الحوار الذي دار بين فرعون وموسى عليه السلام.

الأب: نعم؛ لا زال الحوار بينهما فلم ينته بعد...

الأمّ: هل أكمل ما قاله موسى عليه السلام للملأ؟

تفضلي أمّ أحمد....

الأمّ: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الشعراء: ٢٦ ـ ٣١].

سمع الملأ المجتمعون سؤال فرعون، وانتظروا ليسمعوا جواب موسى، ولقد كان حكيماً في جوابه، فهو لم يوجّهه إلى فرعون السّائل، إنّما وجّهه إلى الملأ الحاضرين. وخاطبهم بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. وذلك ليشركهم في الحوار، وليلمس قلوبهم، ويفتح آذانهم، ليعلموا أنّهم المقصودون بالكلام والخطاب، فيفكّرون في ما يسمعون!

وبهذا نقل موسى الدّاعية عليه السلام الحكيم المسألة من حوار ثنائيّ بينه وبين فرعون، إلى ندوةٍ عامّة بينه وبين الملأ أجمعين!

وكان جوابه أنّ الله الواحد هو ربّ السّماوات والأرض وما بينهما، فالسّماوات والأرض وما بينهما لله، ولا يَدّعي أحد أنّه ربّ السّماوات والأرض وما بينهما. حتّى فرعون نفسه لا يدّعي ذلك، فكلّ ما ادّعاه فرعون أنّه ربٌّ لقومه، وقومه جزءٌ من البشر، والبشر جزء من العالمين، والعالمون جزء من السّماوات والأرض!!

وقال للملأ: أيّها القوم ربّكم هو الله، وليس فرعون، لأنّ الله هو ربّ العالمين، وربّ السّماوات

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والأرض وما بينهما، فهل فرعون ربّ السّماوات والأرض وما بينهما؟ بالطّبع لم يزعم فرعون ذلك!

ولمس موسى الحكيم قلوب الملأ لمسة خفيفة فقال: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، أي: إن هذه مسألة بديهيّة، لا تحتاج إلّا إلى يقين، فلا يدّعي مخلوق أنّه ربّ السّماوات والأرض وما بينهما، مهما بلغ من الكفر والاستكبار، فكيف تتناقضون مع أنفسكم، فتوقنون أنّه ربّ السّماوات والأرض هو الله، وربّكم أنتم هو فرعون[1]؟؟

وحّد الجميع الله بقولهم: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير....

وتابعت أمّ أحمد السّرد...

تابع السّرد أم أحمد....

لاحظ فرعون بدهائه أنّ جواب موسى هزّ عرشه، وألغى ربوبيّته لقومه، فترك موسى، ووجّه كلامه للملأ: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

لقد نجح موسى عليه السلام في استدراج فرعون وفي تحويل الموضوع من حوار ثنائيّ إلى حوار عامّ مفتوح، فها هو فرعون يوجّه كلامه للملأ من حوله، وها هم الملأ يستمعون للحوار بين فرعون وبين موسى، وهم يعلمون أنّهم مقصودون بذلك....

وقوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ من باب الاستغراب والاستهجان، يدعوهم إلى أن يستهجنوا ما يسمعون من موسى عليه السلام، لأنّه يتكلّم عن ربّ آخر غير فرعون، وهم يؤمنون أنّ فرعون وحده ربُّهم!!

فأهمل موسى فرعون واستغرابه، ووجّه كلامه إلى الملأ، وقدّم لهم تعريفاً آخر على الله وحده هو الرّبّ، فقال لهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٥ ـ ٤١٦.

فنقل موضوع الرّبوبيّة من بُعْدِها الكونيّ الواسع إلى بعدها الإنسانيّ، وبنى على كون الله وحده ربّ السّماوات والأرض وما بينهما، كون الله وحده ربّ النّاس، على اختلاف زمان ومكانِ وجودهم، فربّ الكون هو ربُّ النّاس.

وصارح موسى الملأَ حول فرعون بأنَّ ربّهم هو الله، وليس فرعون كما يَدّعي. وإذا كان فرعون لا يدّعى أنّه ربّ آبائهم الأوّلين فكيف يدّعي أنّه ربُّهم هم؟ إنّ ربَّ آبائهم الأوّلين هو ربُّهم[1]!!

أحمد: هذا هو الفرق بين العلم والجهل....

أظنّ أنّ فرعون أحسَّ بقوة وحكمة منطق موسى عليه السلام، ولم يستطع أن يجاريه في نفس المنطق والأسلوب العلمي الموضوعي، لأنّه لا يقدر على هذا المنطق، ولا يملك حجّة يخاطب بها قومه.... هذا هو الفرق بين الجهل والعلم.... مثل ما كان مع إبراهيم عليه السلام وأبيه... دائماً نبيّن بين العلم والجهل...

جميل: والعلم هو الذي يكسب.

سامي: إذن موسى عليه السلام كسب، فضحك الجميع....

تتابع **أمّ أحمد** وتقول: نعم؛ كسب وانتقل فرعون إلى أسلوب السبّ والشّتم، فشتم موسى بأنّه مجنون، ووجّه كلامه للملأ: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾.

موسى رسولهم مجنون! هل الكلام الذي قاله كلام مجنون؟ وهل الأدلّة التي عرضها يمكن أن يعرضها مجنون؟ وهل موسى مجنون لأنّه رفض الاعتراف بربوبيّة فرعون لقومه؟ ولأنّه خرج على ما عليه فرعون وقومه؟

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤١٦ ـ ٤١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا هو منطق فرعون المستكبر المتجبّر انتقل إلى تشويه صورة موسى عليه السلام.

أحمد: هذا يعني أنّ فرعون انهزم وخسر الحوار مع موسى عليه السلام.

قال موسى عليه السلام ردّاً على ما ادّعاه إنّه مجنون: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

كأنّه يقول لهم: إن كنتم تعتقدون أنّ فرعون ربٌّ لكم فأنتم المجانين، ففكّروا وأعملوا عقولكم لتعرفوا الحقيقة!!

لم يصمد فرعون أمام منطق موسى الموضوعيّ، وأدلّته المقنعة، ولم يستمرّ فرعون بالهدوء وسعة الصّدر... بل انهزم وبدأ بتهديد موسى عليه السلام بالسّجن، قال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾. ولكنّ تهديد فرعون لم يثنِ موسى عن إيمانه ودعوته، ولم يقذف الخوف في قلبه فقد كان يوقن أنّ الله معه، يسمع ويرى، معه يحفظه ويحميه، ولهذا بقي ثابتاً على الحقّ رغم التّهديد والوعيد.

كذلك لم يخرجه تهديد فرعون عن هدوئه وحكمته وموضوعيّته، لهذا ردّ على تهديده ونَزَقه وغلظته قائلاً[1]: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾؟ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.... وهذا شرحناه سابقاً...

تظاهر فرعون أنّه يشارك الملأ في الحكم والقرار، فكّر الملأ المجتمعون مع فرعون، ثمّ اقترحوا اقتراحاً: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١١ ـ ١١٢] فما دمت يا فرعون تقولُ إنّ هذا ساحرٌ، فأرسل إلى السَّحَرَةِ الذين تعُجّ بهم بلادك ليُفنّدوا سحره كما يقول المثل: (لا يَفِلُّ الحديدَ إلّا الحديدُ).

ولكنّ إرادةَ الله غالبةٌ، ومَشِيْئتُهُ كائِنةٌ، ولا يَسْتطيعُ أحدٌ مغالَبَتَها

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإبْطالَها، بل الله هو الغالِبُ على أمرِهِ. وهذا ما ذكره في سُورَةِ النّازِعاتِ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: ١٥ ـ ٢٦].

لقد نَصَحَهُ قومُهُ بإحضارِ جميعِ السَّحَرَةِ الموجودين في بلادِ مِصرَ كلِّها، بالرَّغْمِ مِن أنّه كان يدَّعي الألوهيّةَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، فما هذا الإلهُ الذي يتلقّى النُّصحَ والأوامِرَ من عَبيدِهِ أو أصحابِهِ؟!

وهذا ما كان، لقد أرجأ فِرعون الكلامَ مع موسى وهارونَ حتّى يَجْمَعَ السَّحَرَةَ، على أن يجتمِعوا كلُّهم يومَ العيدِ في مكانٍ واحدٍ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾ [طه: ٥٧ ـ ٥٩].

أحمد: فرعون يريدُ ـ أو يتوقّعُ ـ أن يهرُبَ سيّدُنا موسى مِنَ المعركةِ، كيف يهرُبُ وهو يتمنّى هذا الاجتماعَ؟ فعندما يجتمعُ النّاسُ تكون الحُجّةُ دامغةً على الكافرين ولا يستطيعُ أحدٌ إنكارَ ما يجري في الاجتماع.

الأمّ: لا، هو لم يتوقّع أن يهرب موسى، ولكن أراد أن يبثّ في نفوسِ أتباعِهِ روحَ الحِقدِ والتَّشفّي والسُّخْرِيَة مِن موسى. ولم يعبأْ نبيُّ الله بسخريّتِهِ وقال له: موعدُكم يومُ الزّينةِ في وقتِ الضّحى. «قال ابنُ عبّاس: وكان يومُ الزّينةِ يومُ عاشوراءَ. وقال غيرُه: كان يومَ عيدِهم. . . . وفي مثلِهِ أهلَكَ الله فرعونَ وجنودُه، كما ثبت في الصّحيح»[1].

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اِهتمَّ نبيا الله موسى وهارونُ عليهما السلام في فترةِ انتظارِ الموعِدِ بذكرِ الله والصّلاةِ والتعبُّدِ كما أمرهما ربّهما: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وكما وعد موسى ربَّه عندما طَلَب منه إرسالَ أخيه هارونَ لمؤازرتِهِ عليه السلام: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾.

وفي الوقت نفسه كان جنودُ فِرعونَ ورسُلُهُ يجُوبونَ أنحاءَ البِلاد لدعوةِ السَّحَرة ـ جميعاً: المشهورين والمغمورين ـ للمجيءِ إلى مكانِ الاحتفالِ بيومِ الزّينةِ ليعرِضوا سِحْرَهم ويُسَفِّهوا أحلامَ ذلك الكافِرِ بدينِهم وربِّهم الفرعون ـ موسى ـ ويُظهِروا كذبه في ادّعائه النُّبوَّة. هذا ما كان يقوله المُنادون لإغراء السَّحرةِ وتأجيجِ نارِ الكُرهِ في نفوسِهم تِجاه بني إسرائيل.

حان يومُ الزّينةِ، وكان بنو إسرائيل مستعدِّينَ وخائفين...

سامي: أما زالوا خائفين؟ ألم يُقابِلوا نَبِيَّهم ويكلِّمْهم ويكلّموه؟

الأمّ: يا بُنَيّ، الخوفُ هو إحساسٌ خطيرٌ يجتاحُ نفسَ الإنسانِ ويتمكَّنُ مِنها. جميعُ المشاعِرِ الإنسانيّةِ مِن حُبٍّ وكُرهٍ وعطْفٍ واحترام... إلخ... قد يمرّ على الإنسانِ وقتٌ فينساها، إلّا شعور الخوف فإنّه لا يفارِق صاحبَه في يقظَته أو منامِهِ. وبنو إسرائيلَ في ذلك الوقت عانَوُا الكثيرَ مِنَ الظُّلمِ والخَوْف، فكيف ينسَوْن بسرعةٍ؟ إنّ ذلك يحتاج إلى إعادةِ تربية.

واستأنَفَتِ **الأمّ** كلامَها: إذاً استعدّ بنو إسرائيلَ لهذا اليوم بتحَفُّزٍ. واستعدّ فرعونُ وسَحَرتُهُ بكلِّ الثّقة والاطمئنانِ والحِقدِ تِجاهَ بني إسرائيلَ ودعوةِ نبيِّهم، واستعدّ جميعُ المِصريّينَ لحضورِ مَهرجانِ السِّحْرِ العظيمِ.

فالسِّحر كان تجارةً رائجةً في ذلك الوقتِ في مِصر[1].

تتابع **الأمّ** سرد القصّة: خاف موسى عليه السلام، ولم يكن خوفُه ناجماً

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٥٠ بتصرّف.

عَن عَدَمِ ثِقَتِهِ بربِّهِ وقُدْرَته، بل خوفاً على النّاس أن يفتنوا بسحرهم ويغترّوا بهم قبْلَ أن يُلقِيَ ما في يمينِهِ.

اِبتدأ العرضُ فسأل السّحرةُ موسى، هل يريدُ أن يَفتتِحَ العرضَ بفُنونِهِ أم هم يبدَأون؟ فقال: بلِ ابدأوا أنتم.

فألقَوا عِصيّهُم وحبالَهُم ورآها النّاسُ تتحرك: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ في هذا الوقت خافَ موسى فقد شاهد الحبال والعصيّ تسعى كأنّها حيّات. سيصدّقون بالطّبع أنّ ما يرَوْنه صحيح، فهل يُكَذِّبون ما ترى أعيُنَهم في ضَوءِ النّهار؟

سامي: وكيف كانت تتحرّك؟

الأمّ: إنّ الكيمياء عِلْمٌ خطيرٌ، لقدِ اسْتعملوه في فنونِهم ليسحروا أعيُنَ النّاس: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾.

أحمد: أي أنّ موسى عليه السلام ظلّ واقفاً ينظُرُ إلى أعمالِ السَّحَرَةِ خائفاً بانتظارِ أوامر ربِّهِ!

الأمّ: هذا صحيحٌ. وعندما جاءه الإذنُ ألقى العصا، فتحوّلت إلى ثعبان يبتلعُ تلك الحبالَ والعصيّ حتّى لم يُبْقِ منها شيئاً إلّا تلقَّفه وابتلعَهُ، فيما السّحرةُ والنّاسُ ينظرون إلى ذلك عَياناً جِهاراً نهاراً ضَحوةً، فقامَتِ المُعجِزَةُ واتَّضَحَ البُرهانُ.

اِبتسمَ الأولادُ وتنفَّسوا الصُّعَداء وقالتْ أمّهم: هيّا إلى غُرَفكم، نتابع القصّة في المرّة القادمة.

الأولاد: لا بأسَ؛ تُصبِحينَ على خير.

فصة رقم ٢١

موسى عليه السلام وهارون عليه السلام
بعد خروج بني إسرائيل من مصر

موسى عليه السلام وهارون عليه السلام
بعد خروج بني إسرائيل من مصر

ها هي عطلة الفصل الدّراسيّ الأوّل قد انتهت... وهم يستعدّون لاستقبال جدّهم وجدّتهم في المطار بفرح وسرور لقدومهم لقضاء بعض الوقت، بما أنّ الطّقس هو الخريف، ليس بالبارد الذي يتأذّى منه كبار السّنّ، وليس بالحارّ أيضاً.

الأولاد بصوت واحد: ها هم جدّي وجدّتي وتعالت الأصوات فرحاً وسروراً لاستقبالهما بعد زمن مرّ دون لقائهما.

وها هم يعودون إلى البيت مصطحبين جدّيهما بعد الاستقبال المليء بالحفاوة والتّرحاب من جميع أفراد العائلة، وبعد أخذ قسط من الرّاحة، كان الأهمّ هو إخراج الهدايا من الحقائب لسامي وجميل وأحمد، وأمّ أحمد كما لم ينسَوْا أبا أحمد فهو ولدهم الغالي....

وبعدها رتّبت أمّ أحمد مع الجدّة الحقائب ووضع كلّ شيء في المكان المناسب للحاجيات. من الدّواء المخصّص لكلّ من الجدّ والجدّة إلى أغراضهم الخاصّة التي يستعملونها يوميّاً في منزلهم....

نام الجميع في هذا اليوم بمرح وسرور لوجود جدّهم وجدّتهم.... وأخبروهم أنّ يوم غد هو يوم عودة إلى المدرسة، وأنّهم حين العودة سيواصلون معهما الدّردشة وتبادل الأحاديث... وهكذا كان.

نفّذَ الأولادُ ما اتّفقوا عليه مع والدَيْهم، فقد صرفوا جُلَّ اهتمامِهم إلى دروسِهم ووظائفهم التي كانوا يُنْهونها ولا يؤجِّلون شيئاً منها حتّى لا تتراكمَ عليهم وتُصبحَ عسيرةَ الحِفظ والفَهم، تمسُّكاً بالمَثَل السّائِر (لا تؤجِّل عَمَلَ اليوم إلى الغَدِ، فللغدِ عملُهُ). كانوا مُصِرِّينَ على التَّفوُّقِ دَوْماً والتّمَيُّزِ في كلّ الدّروسِ، خصوصاً وأنّهم يُواصِلون الفَصلَ الثّاني من الفُصول الدّراسِيَّة، الفصلَ الذي تزدحِمُ فيه الدّروس، ومعَ ذلك لم يتوانَوْا عن مساعدةِ أُمِّهم في أعمالِها كما وعدوها، أو على الأقلّ لم يكونوا ليَزِيدوا أعباءَها.

كما أنّهم شاركوا جدّهم وجدّتهم بالاطّلاع على ما تعلّموه من القَصص القرآنيّ، ليتابعوا معهم بقيّة قصّة موسى عليه السلام. وكم أثنى الجدّ والجدّة على معلومات أحفادهم التي يتلقّونها من والديهم وشكروا الله عز وجل أن استجاب الله دعاءهما دوماً لأحفادهم بأنْ يحفظهم الله من كلّ سوء وشرّ في زمن تعجّ فيه الفتن.

وأمّا أيّامُ العُطَل الأسبوعيّة فكانوا يُمضونها في الزِّيارات العائِليَّة مع جدّهم وجدّتهم، وفي النُّزُهات التي تُساعِدُهم على التَّقَرُّبِ مِن بَعضِهم بعضاً، وتروِّح عن أنفُسِهم وتُعيدُ إليهِمُ النَّشاطَ، أو إنجاز ما يُطلَبُ منهم من بُحوثٍ خاصَّة بالمنهجِ الدِّراسيِّ، بالإضافة إلى البحثِ الذي طَلَبَتْه مِنهُم أمُّهم، والذي يختصّ بقِصَّةِ النّبيِّ موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وخصوصاً سببَ التِّيهِ الذي أُصِيبوا به؛ وبما أنّهم لا يَعرفون المصادِرَ والمراجِعَ التي يَجِبُ عليهِمُ اعتمادُها، سألوا أمَّهم، فأخبرَتْهم بها، وعلَّمَتْهم كيف يبحثون فيها وكيف يُقَمِّشون[1] معلوماتِهم، ولكن بعدَ البحثِ والتّدقيقِ اكتَشَفَ الأولادُ أنّ هناكَ بعضَ الأسئلةِ التي يَجِبُ أن يَجِدوا لها أجوبةً. فكتبوها ليُفاجِئوا بها أمَّهم.

(١) يقمّشون: التّقميش هو جمع الشّيء من هاهنا وهاهنا، وهو في منهجيّة البحث مصطلح شائع يعني جمع مواد البحث.

بعد انتهائِهم مِنَ البحثِ أخبروا والدَيْهم بذلك وعلاماتُ الفوزِ باديةٌ على وجوهِهم. واتّفقوا على متابعةِ القِصّةِ يومَ العطلةِ الأسبوعيّةِ القادم، بالرَّغم مِن أنّهم سيُقضونه في أحضانِ الطّبيعةِ مع جدّهم وجدّتهم وكان جميلٌ هو الذي اقترَحَ ذلك:

ـ وما المانعُ؟ نصطادُ عُصفورين بحجَرٍ واحِدٍ، نذهب إلى الطّبيعةِ فنرفِّهُ عن أنفُسِنا ونتنفّسُ هواءً نقيّاً، ونروي القصّة.

وهكذا كان. فقد خرجوا من بيتهم باكراً ومعهم كلُّ لوازِمِهم، ولا سيَّما الخيمةَ التي سيرتاحون فيها إذا أحسّوا بالتّعبِ أو البرْدِ، فالفصلُ هو فصلُ الشّتاءِ، بالرَّغم من أيّامِ الصَّحو الدّافئةِ التي تتخلَّلُه.

وها هم يستمتعون بدفء الطّقس في هذا اليوم الممطر، ويلعبون على الرِّمال الصّفراء جرياً هنا وهناك بالصّحن الطّائر تارة وبالكرة تارة أخرى....

وكانت أمّ أحمد والجدّ والجدّة يتسامرون بالحديث عن الأيّام الماضية كيف قضاها الجدّ والجدّة في تربية الأولاد... وأبديا سرورهما من ابنهما أبي أحمد فما زالا ينهالان عليه بالدّعاء له بالرّضى ولعائلته وذرّيّته.

وتخلّل الجلسة شرب كاسات الشّاي السّاخنة، ولمن أراد القهوة فقد جهّزها أبو أحمد مع ضحك الجميع والابتسامة التي لم تفارق وجوههم.

ولم ينسيا بالتّأكيد الصّلوات المفروضة فكانوا يصلّونها جماعة مع الجدّ الذي كان إماماً لهم جميعاً....

وبعد الانتهاء من تناول وجبة الغداء. جلسوا ليستمتعوا جميعاً وليكملوا قصّة موسى عليه السلام.

قصّ **الأب** بعجالة ما حدث في القصّة السّابقة لكي يتعرّف الجدّ والجدّة على القصّة ليتابعوا معه ما سيقصّه....

قال **الأب**: فقط أريد أن أسلّط الضوء على نقطة غفلنا عنها في المرّة السّابقة... ألا وهي السّبب في إنكار فرعون لوجود الله عزّ وجلّ لأنّه

اتّبع هواه، فلم يعقل ما أمره الله ﷻ به. وبالعقل يميّز الإنسان بين الحقّ والباطل، والعقل هو من يحجر هوى النّفس عن المهالك فلا يظلم الإنسان نفسه. لذلك نرى دائماً محاربة الله ﷻ لمتبعي أهوائِهم، فهم الذين لا يتّبعونَ أوامِرَ اللّهِ ﷻ: «فاللّهُ تبارك وتعالى عندما خَلَق الإنسانَ وركَّب فيه الهوى خلق له أيضاً عقلاً، ليكون عليه أميراً وله قائداً وبه مميّزاً بين الحقّ والباطل».

ولنا في قولِ الله تعالى خيرُ دليلٍ على أنَّ اتّباعَ الهوى مذمومٌ، حيث قال في سورةِ الكهف: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

الأمّ: وقال أيضاً في سورةِ الأعراف: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٦].

تابع **الأب** السّردِ قائلاً: خاطب موسى عليه السلام السّحرةَ في القرآن قال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾ [طه: ٦١]، فتنازعَ السَّحَرَةُ بينَهُم وقالوا: ما هذا بقول ساحر.

سامي: كيف عرفوا ذلك؟

الأمّ: لقد كانوا علماء ذلك الوقت؛ كانوا كهنةَ المعابِدِ الذين يَحُثُّون النّاسَ على عبادَةِ فرعونَ والآلهةِ الأخرى، وهم يعلمون أنّهم كاذبون في دعواهم، لذلك عرفوا الحقّ حينما سمعوه.

جميل: كان من واجِب فرعونَ الِانتباهُ إلى ذلك فيحذِّرُهم، أم أنَّ غرورَه كان أكبرَ من ذلك حتّى صدّق أَنَّهُ إلٰه؟

الأمّ: كلامُك صحيح، ولكنّه كان منتبهاً لهم. لذلك كان يكرمهم

دوماً، فقد سلَّطهم على رِقابِ النّاس، ولهذا أَمَرَ الحاشِرين ـ المنادين ـ أن يخوِّفوهم من بني إسرائيلَ عامةً، ومن موسى وهارونَ ودعوتِهما خاصّةً، فهذه الدّعوةُ ستُفْسِدُ عقولَ النّاسِ فيترُكون عبادةَ آلهتِهم، فيَخسرُ الكهنةُ بذلك الخيرَ الكثيرَ الذي يَتَنَعَّمون به، وكذلك ذكّرهم بهذا الخطرِ يومَ الزِّينةِ عندما كان يشجِّعُهم على الإتيان بأعظمِ السِّحْرِ ليُظهِروا كَذِبَ موسى، فساوموه على الأَجْرِ الذي سيَمْنَحُهم إيّاهُ فوعَدَهم بالأجرِ العظيم: ﴿...أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤١ ـ ٤٢].

أحمد: وهكذا صاروا مُحتارين: هل يصدّقون موسى أم فرعونَ، فهو المَلِكُ القَوِيُّ القادِرُ الذي يُهَيْمِن على عقولِهم مُنذ زمنٍ طويلٍ، أمّا موسى وهارونُ فيُريدان أن يذهبا بطريقَتِهمُ المُثلى التي هي السِّحْرُ: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾﴾ [طه: ٦٢ ـ ٦٤].

وحَشَدَ السَّحرة أقصى مهاراتهم وأعظمَ كيدِهم وبدأوا الجَوْلَة باسم فِرعونَ وعِزَّتِهِ ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤].

أحمد يتابع السّرد فيقول: لقد كانوا شديدي الوثوق بقدرَتِهم على النّجاحِ وبتقرُّبِهم من فِرعون، كانوا واثِقين مِن كلامِه ووعدِه، ومعَ هذا أُصيبوا بالخَسارة الدّامِغَةِ.

الجدّ: أجل؛ ولو أَنّهم سمُّوا الله وتمسَّكوا بعزَّتِهِ كما فعل موسى، وكما نفعلُ ـ نحن المسلمين ـ لانتصروا. لقد قالوا بعزّةِ فرعون. ومن هو هذا الفرعون؟ إنّه مُجرَّد إنسانٍ خاضِعٍ لمشيئَةِ الله وقهرِهِ، قد يموتُ في أيِّ وقتٍ، فلا حولَ له ولا قوةَ ولا عزّةَ، فالعِزّةُ لله وحدَه فهو العزيزُ القَهّارُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الأمّ: أجلْ؛ وهناك آيةٌ في القُرآنِ الكريم تُخَصِّصُ العِزَّةَ لله وحدَهُ، حتّى العزّةُ التي يتمتَّعُ بها المؤمنون فهي مُستَمَدّة مِن عِزّةِ الله، ينزَعُها منهم إذا تخلّوا عن الطّريقِ المستقيم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [فاطر: ١٠].

سرّ الجميع بمشاركة الجدّ الحديث عن موسى عليه السلام وما حدث مع فِرعون الطّاغية.

الأمّ: جزاك الله خيراً، كم نفتقد العزّة في يومنا هذا.

وتابعت حديثها: وبالرَّغم من كُلِّ الجهود التي بذلها فرعون وجنوده، وكلِّ الكلام الذي صدرَ عن السَّحَرة، بالرّغم مِن هذا كلِّهِ نفذَتْ مشيئةُ الله ورأى السّحرةُ بعينِ العقلِ أنَّ ما قامَ به موسى ليس سِحراً، فهُم أعلم مِن غيرهم بالسِّحْر ووسائِلِه لهذا تأكّدوا مِن أنَّ موسى ليس ساحراً، وإنّما هو رسولُ الله، فما كان مِنهُم إلّا أنْ تخلَّوا عن سِحرهم وسجدوا لله تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: ١١٩ ـ ١٢٢].

جميل: وماذا فعل فرعون؟

الأمّ: ما كاد فرعون يَستردُّ أنفاسَهُ مِنَ الخَوفِ الذي ألمَّ بِه منْ مَنظر الثُّعبانِ الذي أَكَلَ عِصيَّ السّحرة وحبالَهُم، حتّى فُوجِئ بمنظَرِ السّحرة وهم ساجدون لربِّ العالَمين يُعلِنون إسلامَهم. ثار غضبُه وسخطُه عليهم، ولكنَّه حاولَ اسْتِدراك الأمَرِ حتّى لا ينتبِهَ النّاسُ للسَّبَبِ الحقيقيِّ لحُنْقِه، فقال للسّحرة: كيف تتصرَّفون من تِلقاءِ أنفُسِكُم، دونَ الرُّجوعِ إليّ؟ أنا لم أسمحْ لكُم بالإيمانِ بربِّ موسى. كان يَجِبُ عليكم أن تسألوني حتّى آذنَ لكم، ولكنْ لأنّكم أهمَلْتم رأيي، واتَّبعْتم موسى ـ مُعلِّمُكمُ الذي علّمَكُمُ السّحرَ ـ لأنّكم فعَلْتم هذا فسأقتلكم جميعاً بعد أن أقطعَ أيديَكم وأرجلَكم مِن خَلافٍ وأربِطَكُم بجُذوعِ النّخل. ولكنّ السّحرة لم يسكُتوا بل فَضَحوا نيَّتَهُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقالوا إنّ سببَ غَضَبِهِ وانتقامِهِ مِنهُم لأنّهم آمنوا بالله وتركوا عبادَتَه: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧١ ـ ٧٦].

جميل: لديّ سؤالان: لقد قال السحرة لفرعون: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ فهل هو الذي أَجْبَرَهم على تعاطي السِّحْرِ؟ ولماذا؟

والسّؤال الثّاني: كيف علم السَّحَرةُ بأمرِ الجنّةِ والنّارِ ما دامَ موسى عليه السلام لم يُتَح لهُ الوقْتُ لدعوَتِهم إلى الإسلامِ؟

الأمّ: بالنِّسبة للسّؤال الأوّل فبالرّغم من تكريم فرعونَ للسّحرةِ وتخصيصِهم بالأموالِ والمكانةِ العاليةِ التي سهّلتْ لهُمُ السَّيطرةَ على عقولِ النَّاسِ وتسييرهم كقِطعانِ الماشِيَة، إلّا أنّه كان يُجبِرهم على القِيام بأعمالٍ لم يذكُرِ القُرآنُ ماهيَّتَها، غيرَ أنّ الطُّغاةَ في كلِّ العصورِ يُجبِرون أتباعَهم وأعوانَهم على القِيام بأعمالٍ إجراميَّةٍ ممّا لا يُمكِنُ أن يَقبَلوا القِيامَ بها طواعِيَةً، ففِطرتُهم ترفُضُها.

فإذا جاء شيءٌ يُزَكّي الفِطرةَ ويُنَمِّيها مثلَ عصا موسى فلا يملكون إلّا التّسليم...

أمّا بالنِّسبة لِما يتعلَّقُ بالسُّؤالِ الثّاني، فقد سَبَق أنْ قلتُ لكُم إنَّ السَّحرةَ كانوا عُلماءَ تلك الأُمَّةِ ومُفكِّريها؛ والعلماءُ في السّابق كانوا يقرؤون ويتعلّمون جميعَ العلومِ والفنونِ التي كانت موجودةً في أيّامِهم، ممّا يتعلَّق بعملِهم أو لا يتعلَّق. ومِنَ الطَّبيعيِّ أن يكونوا قرؤوا عنِ الأُمَمِ السّابقةِ ودَعْواتِ الأنبياءِ، وأقربُها إليهم كانت دعوة يوسُفَ عليه السلام التي كانت هي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دعوة إبراهيمَ عليه السلام، وفي هذهِ الدّعواتِ إخبارٌ عمّا أَعَدَّ الله للمؤمنينَ والكافرين... ولكنّهم ـ السّحرةَ ـ لم يُؤمِنوا بها؛ فأنْ تقرأَ أخبارَ قومٍ شيءٌ، وأنّ تُعايشَ الخبرَ وتتعاملَ معَ أبطالِهِ شيءٌ آخرُ. ثمّ إنّهم لم يكونوا يَجرؤون على الإيمانِ بما يقرؤون خوفاً مِن سطوةِ فرعون، ولم يكُن لديهِم نبيٌّ يُشَجِّعُهم ويُقَوّيهم ليَتحدَّوْا فرعون بإيمانِهم.

الأب: فلْنُتابعِ السّردَ. وصلنا في قِصَّة سيّدِنا موسى إلى انتصارِهِ على السَّحَرَةِ وفرعون وإيمانِ السَّحَرةِ بربِّ العالَمين وتهديدِ فرعون لهم بالقَتْلِ بعد التّعذيبِ، دُونَ أن يؤثِّرَ هذا التّهديدُ عليهِم، بل زاد مِن إيمانِهم وتمسُّكِهِم بربِّهم. وهكذا استيقظ السَّحَرةُ في يومِ العيدِ وهم كافرون، وماتوا في آخِرِهِ وهم شُهَداءُ، كما قال عبدُالله بنُ عباسٍ وغيرُه مِنَ السَّلف: «أصبحوا سحرةً وأمسوا شُهَداء».

جميل وسامي: لم نفهم!!

الأب: بَيَّنَ لهم وسيلة تعذيبهم المخيفة، وأكّدَ على ذلك تأكيداً خاصّاً، كما توحي بذلك كلمة ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ وكلمة ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، في حروفها ومعناها، سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. وهم يشاهدون ذلك بعيونهم، ولنتصوّر مدى بشاعة هذا التّعذيب، فكيف تُقَطَّعُ أيدي وأرجل إنسان وهو ينظر؟

ومعنى ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أن تقطّع اليد اليمنى ثمّ الرّجل اليسرى، وبعد ذلك تقطّع اليد اليسرى ثمّ الرّجل اليمنى، أو بالعكس!!

وبعد تقطيع أيديهم وأرجلهم سيعذّبهم عذاباً آخر، حيث يصلّبهم على جذوع النّخل[1]: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، زاد فرعون في توعّده وتهديده، فأعلن لسحرته أنّه سيتركهم مقطّعي الأيدي والأرجل من خلاف وسيشدّ أطراف الجسم، ويعلّقه على خشبة معروفة بالصّليب، وتكون على

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٦٩.

شكل سطر قائم عموديّ، وسطر آخر يوضع وسطه على السّطر القائم دون رأسه بنحو الرّبع.

وقد يكون هذا الصّلب على سوق شجر ذوات سوقٍ مرتفعة عالية، كالنّخل، والـ"رْوِ، ونحوهما[1].

اِستأنفَ **الأبُ** كلامَهُ: ولكنْ هلِ انتهى الأمرُ عند هذا الحدّ؟

الأولاد: طبعاً لا، فسيِّدُنا موسى لم يُحَقِّق بعدُ الهدفَ مِن رسالَتِهِ.

الأمّ: أحسنتم. فالله سبحانَهُ وتعالى لم يرسِلْ موسى عليه السلام من أجلِ السَّحَرَةِ ـ بالرَّغم من أنَّهم داخِلون ضِمنَ المدعوِّينَ ـ بَلْ مِن أجلِ دعوةِ فرعون وإخراجِ بني إسرائيلَ مِن مِصرَ، ورفْعِ الظُّلمِ عنهم، وهذا كلُّه لَمْ يحقِّقِ النَّتيجةَ المرجوَّة منه.

تابعتِ الأمّ: ولكنْ مَن قال إن السحرةَ هم وحدهم الذين آمنوا برسالةِ موسى؟ فهناك فئة لا بأسَ بها مِن بني إسرائيل ـ الذين قلنا إنَّهمُ ابتعدوا عنْ ممارسةِ دينِهم بشكلٍ صحيح ـ هذه الفئةُ آمنتْ أيضاً ولكنّها كانت أقل شجاعةً مِنَ السّحرةِ، فلم تُواجِهْ فرعون بل ذهبت إلى سيِّدِنا موسى تشكو له أمرَها: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ

---

(١) الميدانيّ، حسن حبنكة، **معارج التّفكّر ودقائق التّدبّر**، المجلّد الثّامن، ص٦٠٦ ـ ٦٠٧.

أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣].

أحمد: ما المقصودُ بكلمةِ ذرِّية؟ كنتُ أعتقِدُ أنّ معناها الأبناءَ، ولكنّي أراها هنا تعني «القليل».

تدَخّل **الجدّ** قائلاً: في الواقِع، هذه الكلمةُ تحمِلُ معانيَ متعددةً، ذكر منها ابنُ الجَوزِيِّ:

١ ـ القليلَ.

٢ ـ الأولادَ الذين أُرسِل إليهم موسى وقد مات آباؤهم لطولِ الزّمان....

٣ ـ قوماً، أمّهاتُهم مِن بني إسرائيلَ، وآباؤهم مِنَ القِبطِ[(١)]....

سرّت الجدّة بما أضافه الجدّ من معلومات قيّمة.

أحمد: موسى ـ طبعاً ـ لم ييأسْ مِن فِرعونَ بل ظلّ يدعوه.

الأمّ: في الحقيقةِ كان موسى يعلم أخلاقَ فرعون وطبيعتَهُ المتكبِّرةَ المستعليةَ، ويعلَمُ كرهَهُ له وحِقدَه عليه؛ كان يكرهُهُ مُنذُ طفولتِهِ المُبَكِّرَةِ، من قبل أن يجيئَه لإعلامِهِ أنّه يكفُرُ به ويعُبُد ربَّ العالمين. فكيف وقد جاءه ليُظهِرَ له حقيقتَهُ وأنّه ما هو إلّا إنسانٌ كباقي النّاس، وأنّ له ربّاً يعلَمُ كلَّ شيء، وهو خالِقُ ورازِقُ كلَّ شيءٍ، وهو مرسَلٌ إليهِ مِنْ ربّ العالمين، ويجِبُ عليهِ أن يُتابع رسالتَهُ مهما عانى وكابَد؟!

لقد تضايق فرعونُ من موسى ودعوتِه، ولكنّه كان دائمَ التّظاهُرِ بالصَّبرِ والأناةِ، بالرّغم مِن إغراءِ قومِه له بقتلِ موسى.

فهدّأ من رَوْعِهم ووعَدَهم خيراً.

جميل: وما هو الخَيْرُ بنظَرِهِم؟

---

(١) ابن الجوزيّ، **زاد المسير**، ج٤، ص٤٦.

الأمّ: تقتيلُ ذكورِ قومِ موسى واستحياءُ نسائِهم، وإعادتُهم إلى الذّلّ والمهانَةِ اللذينِ رُفعا عنهم عند ولادةِ موسى بناءً على طَلَب زوجَةِ فرعون. وكان طبيعيّاً أن يَضِجَّ بنو إسرائيل مِن هذه المعامَلَةِ ويوصلوا شكواهم إلى موسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. وكان موسى يهدّؤهم ويَطلُبُ منهُم الصّبرَ الجميل الذي سيكون مِن بعده الفرجُ الأكيدُ، وهذا الصّبرُ يكونُ مصحوباً بكثرَةِ الصّلاةِ والدُّعاءِ، كما أَمَرَنا الله تعالى ـ نحن المسلمين ـ في القرآنِ الكريم فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

جميل: وهل نَفَعَت هذه السّياسةُ الهادئةُ مِن قِبَلِ موسى في تهدِئَةِ فرعونَ وإطفاءِ نارِ حقدِه؟

الأمّ: يُولَدُ الإنسان على الفِطرةِ في طبعِهِ، كما قال سيّدُنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام: «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرة حتّى يُعْرِبَ عنه لسانه فأبواه يُهوِّدانِهِ أو يُنَصّرانه أو يُمَجِّسانه**»(١). والفِطرة الأخلاقِيَّةُ السّليمة هي المؤمنةُ بالله الجيّدةُ والخيِّرةُ، ثمّ يكتَسِبُ الإنسانُ أخلاقاً أخرى وتصرّفاتٍ مِنَ البيئَةِ المُحيطةِ بهِ، فإذا تهيّأ له الدِّينُ الصّحيحُ القويمُ فإنّ أخلاقَهُ تتهذّب وسلوكيّاتُه تتحسَّنُ طِبقاً لفِطرتِهِ واستعدادِه. وهذا ما لم يُتح لفرعون، ولكنْ تَهَيّأ له وُزراءُ السُّوءِ الذين زيَّنوا له خبيثَ أعمالِهِ حتّى ظَنَّ نفسَه إلهاً. وهذا ما نبَّهنا إليه رسول الله ﷺ. فقد حدّثت أمّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها حديثاً مرفوعاً: «**إذا أرادَ الله بالأميرِ خَيْراً، جعل له وزيرَ صِدق، إنْ نَسِيَ ذكّرَهُ، وإن ذَكَرَ أعانَهُ؛ وإذا أراد بهِ غيرَ ذلك جعلَ له وزيرَ سوءٍ إن نسي لم يذكِّرْه، وإن ذكر لم يُعِنْه**»(٢).

أحمد: في أثناءِ البحثِ في المكتبةِ قرأتُ حديثاً مرويّاً عن سيِّدنا

(١) البخاريّ: (١٣٨٥)، ومسلم: (٢٦٥٨).
(٢) أبو داود: (٢٩٣٢).

محمّد ﷺ بهذا المعنى. قد قال عليه الصّلاة والسّلام: «**ما بَعَث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفةٍ إلاّ كانَتْ له بِطانَتان: بطانةٌ تأمرُه بالخيرِ وتحضُّه عليه، وبطانةٌ تأمرُهُ بالشَّرِّ وتحضُّهُ عليهِ فالمعصومُ مَنْ عَصَمَ الله**»(١).

الأمّ: هذا صحيحٌ. ولقد كانت بطانةُ فرعون سيّئةٌ بمجملِها، فقد كانوا دائمي الطَّلبِ منهُ أن يخلِّصَهم من موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٥ ـ ٢٧].

الأولاد: يا لَهذا المتكبِّرِ الفاقِدِ العقلِ.

الأب: هذا صحيحٌ، والله لا يحبُّ المتكبِّرين، وذلك لأنّهم ينازِعونه في صفةٍ مِن أخصِّ صفاتِهِ، فالكبرياءُ لله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]. لِهذا جعلَ مثواهُمُ النّارَ: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

وقال في الحديثِ القُدُسيِّ: «**العظمةُ إزاري والكبرياءُ ردائي فمَن نازَعني واحداً منهما قذفته في النار ولا أبالي**»(٢).

سامي: كيف نجا سيّدُنا موسى مِنَ المؤامَرَةِ التي كان يدبِّرُها فرعونُ ومَلَئِه.

الأمّ: قتل فرعون السّحرة المؤمنين، ولقوا وجه الله شهداء برَرَة، واشتدّ تعذيب فرعون لأتباع موسى عليه السلام، وخطا خطوة خطيرة في حرب

(١) أخرجه النّسائيّ في **المجتبى**، (٧/١٥٨، ١٥٩).
(٢) أخرجه أحمد في **المسند**، (٢/٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسى عليه السلام وأتباعه، حيث أراد قتل موسى نفسه، فوقف له رجل مؤمن من آله، وتصدّى له، وانتصر لموسى عليه السلام ودافع عنه، ودعا النّاس إلى الإيمان(١).

لقد سبَقَ القولُ إنَّ بِطانَةَ فرعونَ لم تكنْ سيِّئةً بمجملِها. هذا معناه أنّها تضمُّ أناساً جيِّدين مؤمنين بالله تعالى، صدَّقوا ما حَصَلَ يومَ الزِّينةِ، وكفروا بفرعونَ، إلّا أنّهم لم يجرؤوا على إعلانِ إسلامِهم، ولكنْ عندما يَرَوْنَ أنَّ مُنقِذَهم يتعرّضُ للمؤامرةِ لا يملِكون عندئذٍ السُّكوتَ. لهذا قام أحدُ هؤلاءِ، والذي أطلَق عليهِ الله تعالى اسمَ مؤمِنِ آلِ فرعون، وبدأ يدافِعُ عن موسى ويحاول إنقاذَه مِن كيدِهم: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

هنا انتبَهَ فرعونُ لوجودِ المؤمنين بدعوة موسى في قَصرِهِ، فصار لِزاماً عليه تغييرُ أسلوبِ كلامِهِ حتّى يمتصَّ غضبَهُم ويكيدَ لهم. فراحَ يُحاوِر هذا الرّجلَ المؤمِنَ الذي لا نعرِفُ من هو. فلمّا قال الرّجلُ: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ [غافر: ٢٩]. قال فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

فأجابَ المؤمِنُ: ﴿...يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣٠ ـ ٣١].

جميل: هل كان هذا المؤمِنُ نبيّاً؟

الأمّ: لا، لماذا؟

جميل: لأنّه يَتَكَلَّم كالأنبياءِ.

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّاني، ص٤٨٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمّ: هو الإيمانُ الصّحيحُ يُطلِقُ الألسنةَ من عُقُلِها.

سامي: وكيف تصرَّف فرعون؟

الأمّ: عِندما وَجَدَ فرعونُ أنَّ المؤمنينَ بدعوةِ موسى صاروا داخِلَ قصرِهِ، خافَ خَوْفاً شديداً، ولكنّه كالعادَةِ ضَغَطَ على أعصابِهِ حتّى لا تَفْضَحَهُ مشاعِرُهُ، ونظر إلى وزيرِهِ هامانَ وطلبَ مِنهُ أنْ يَبْنِيَ له صَرْحاً عالِياً حتّى يصعَدَ إلى السّماءِ ليرى إنْ كانَ هناكَ إلهٌ حقيقةً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

أحمد: هل كان صادِقاً في طَلَبِهِ؟

الأمّ: لقد أراد أن يَشْغَلَ النّاسَ ويتلاعَبَ بعقولِهِم ويُلهيهِمْ عَنِ التّفكيرِ بكلامِ موسى والرَّجلِ المؤمِنِ، ليفكّروا في الكَيْفِيَّةِ التي يبني بها هذا الصَّرحَ وهل سَيَصِلُ إلى السّماءِ.

سامي: كيف هذا؟ كيف ينسى النّاسُ طموحاتِهم؟

الأمّ: عامِلُ الزّمنِ له تأثيرٌ على الذّاكرة، وفرعون كان يلعَبُ ويراهِنُ على هذا العامِلِ. فبناءُ الصّرحِ يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ ليَتِمَّ، فَكَيْفَ إن كان سيبنيه مِنَ الطّينِ المَشويِّ أي: الآجُرّ الذي كانوا يَكرَهونَ البناءَ بهِ وأن يجعلوه في قبورِهم كما قال أحد العالمينَ بأحوال الشّعوب.

جميل: ولماذا كانوا يَكرهونه؟

الأمّ: لأنّه يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ.

سامي: كيف عرفتِ أنّه طلَبَ الطّينَ المشويَّ بالذّاتِ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمّ: لقد ذَكَرَ الله ذلكَ في كتابه الكريم، إذ قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

ولكنّ هامانَ لم يهتمَّ بتنفيذِ هذا الطَّلَبِ لأنّه يعلَمُ عن فِرعونَ أكثرَ ممّا يعلَمُ غيرُه، ولو أنّه بناه لكانَ سيُعتبَرُ مِنْ عجائبِ الدُّنيا لأنّه سيكونُ أطولَ بناءٍ في العالَم.

جميل: إذاً، ظلّ النّاسُ ينتظرون بِناءَ الصَّرحِ عبثاً. فماذا حدثَ بعد ذلك؟

الأمّ: لقد حذَّر مؤمنُ آلِ فرعون قومَهُ مِنَ العذابِ الذي توعّدَ به موسى الذين يكذِّبون بآياتِ الله حينَ قال: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٤].

وقد بدأ تنفيذُ الرّجاءِ الذي ينتظرُه بنو إسرائيل، ألا وهو التَّخلُّصُ مِن فرعون، وبالمقابِلِ بدأ الوعيدُ والتَّهديدُ بالِانتقامِ مِنَ الكافرين، ولكِنْ عَبَثاً.

لقد عانى فرعونُ وقومُه كثيراً مِنَ العذابِ الذي أنزله الله تعالى بهِمُ، وكانوا يَهرَعون إلى موسى يرجُونَهُ الدّعاءَ لربِّهِ أنْ يكشِفَ عنهُمُ العذابَ فيدعوه بشَرطِ أن يُرسِلُوا مَعَهُ بني إسرائيل فَيَعِدُونه بذلك، ولكن ما إنْ تنكَشِفُ الغُمَّةُ حتّى ينسَوا وَعدَهُم ويعودوا إلى سابِقِ عهدِهِم.

سامي: كانوا يهرعون إلى موسى!! أي أنّهم كانوا مُصَدّقينَ بأنّه رسولُ الله، فلماذا لم يؤمِنوا بدعوتِهِ إذاً.

الأمّ: لقد جاءَ في سورة النَّمْلِ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، أي: أنّهم رفضوا الإيمان لِشِدَّةِ غرورِهم وكبريائِهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامي: وكم نوعاً مِن أنواع العذاب أنزلَ الله عليهِم؟

الأمّ: كان سيِّدُنا موسى يعيشُ مَعَ بني إسرائيلَ ينتظِرُ مَعَهُم وفاءَ فرعونَ بوعدِهِ ببناءِ الصَّرْحِ وكانت تتمُّ له معجزاتٌ كثيرةٌ منها ما هو خاصٌّ لبني إسرائيلَ، ومنها ما هو خاصٌّ بفرعون وقومِهِ. اليوم سنتكلّم عمّا كان يجري للأقباطِ، ونترك الحديثَ عَنْ مُعجِزاتِ بني إسرائيل في يومٍ آخر. أمّا المُعجزات أو الآيات التي ابتلى الله بها فرعونَ فكانت تسعاً، وهيَ:

الجدّ والجدّة معاً بصوت واحد: إنّها كثيرة وقد تأخّر الوقت فالجدير بنا أن نعود إلى البيت فيما تتابع الأمّ سرد الابتلاءات التّسع. وافق الجميع ولكن مع التّأكيد على ضرورة المتابعة عند العودة إلى البيت.

بعد عودتهم إلى البيت تعاونوا جميعاً بترتيب حاجياتهم مع اهتمامهم الشّديد بالحرص على راحة جدّهم وجدّتهم ولم يَنْسَوا تذكير بعضهم بأذكار قبل النّوم وخلدوا إلى النّوم.

استيقظ الجميع فجراً بحماس شديد لمتابعة القصة وأدّوا صلاة الفجر وأعدوا متعاونين طعام الإفطار. وتأهّبوا بشوق لمعرفة الابتلاءات التّسع التي أحبّوا معرفتها.

بدأت الأمّ متابعة السرد وقالت:

١ ـ العصا التي انقلبَتْ حيّةً.

٢ ـ اليدُ التي خَرَجَتْ من جَيْبِهِ بيضاءَ مضيئةً.

٣ ـ تتالي المصائِبِ ابتداءً بابتلائِهم بالسِّنين.

٤ ـ نقصٍ في الأموالِ والثَّمراتِ والأنفُسِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٥ ـ الطّوفان.

٦ ـ الجراد.

٧ ـ القمّل.

٨ ـ الضّفادع.

٩ ـ الدّم.

مذكورةَ في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣].

الآيات المذكورة هنا هي: السنين، ونقص الثّمرات، والطّوفان، والجراد، والقمّل، والضّفادع، والدّم، هذه سبعة والآيتان: العصا واليد فيكون المجموع «تسع آيات».

سامي: وما معنى «السّنين ونقص من الثمرات»؟

الأم: وقد أعرَضَ فرعَوْنُ عن الاستجابةِ لدعوةِ موسى بعد أن أنذرَهم، فكانوا مِنَ الهالكين.

أخذ الله آل فرعون بالسّنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣١].

أمام ازدياد بطش وتعذيب فرعون وملئه للمؤمنين بموسى عليه السلام قدَّم الله لهم آيات جديدة، تدلّ على الحقّ وأنّه مع موسى ومن معه، ليقيم عليهم الحجّة[1].

أخذ الله آل فرعون بالسّنين ونقص الثّمرات، لعلّهم يتذكّرون.

و«السّنين» جمع سنة. والمراد بها سنوات المحل والقحط والجدب، حيث ينحبس المطر، وتنقص المياه، ويتأذّى النّاس كثيراً بذلك.

و«نقص الثّمرات» هو ما ينتج عن المحل والقحط، حيث تصاب الزّروع بالآفات، ولا تحمل الأشجار ما كانت تحمله من الثّمرات، فتكون ثمراتها قليلة ناقصة.

وكان ما أوقعه الله بآل فرعون من السنين ونقص الثّمرات آية بيّنة لهم، لو أنّهم فتحوا عقولهم وقلوبهم لها، لأنّ مصر أرض زراعيّة خصبة، غزيرة المياه التي تأتيها من نهر النّيل، كثيرة الزّروع والثّمرات، وسنوات الخصب والرّخاء تأتيهم متوالية. فإذا ما أصابتهم السّنين ونقص الثّمرات فعليهم أن يفكّروا، وأن يحاولوا تعليل ذلك وبيان أسبابه، بتذكّر ما يفعلونه من كفر بالله، وتعذيب لأوليائه المؤمنين، وعليهم أن يعرفوا الآثار الخطيرة المترتّبة عليهم في حياتهم واقتصادهم وبلادهم.

إنّهم إن يفعلوا ذلك فسوف يتذكّرون ويعتبرون، وبذلك يتخلّون عمّا هم فيه من كفر وظلم وعدوان.

ولكنّهم لم يفعلوا ذلك، أي: لم يعتبروا بهذه الآيات، ولم يعرفوا حقيقة وهدف الامتحان والبلاء الذي أوقعه الله بهم، لأنّ قلوبهم مغلقة، وعيونهم مطموس عليها، وعقولهم مغيّبة، فلا يستفيدون ممّا أوقعه الله بهم[2].

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص١٩.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص١٩ ـ ٢٠.

سامي: فهِمنا معنى السِّنينَ وكيف ابتدأتْ نكبةُ فرعون، ولكن ما معنى الطُّوفان؟ هل حصل لهم ما حصل في أيّام سيّدِنا نوحٍ عندما طافتِ الأرضُ كلُّها؟

الأمّ: تقريباً؛ ولكن لم يغرق البشر بل أغرق الزّرع، بدا الماء طوفاناً، بعد سنواتٍ من الجدْب ونقص الثّمرات... نحن في وقتنا الحاضر نقول عنها سيول... ألا تشاهد الأحوال الجوّيّة حين تمطر مطراً غزيراً فيحدث بعدها سيول؟... هكذا كان لقد جعل الله الطّوفان آية وابتلاء وتعذيباً لهم، ففي السّابق ابتلاهم وعذّبهم بنقص المياه، والآن عذّبهم بكثرة المياه، وهو سبحانه حكيم فيما يبتليهم به، وما يعلم جنود ربّك إلّا هو[1].

أحمد: فلنأخُذِ الابتلاءاتِ بالتّدريجِ... الجرادُ، هو الحشرةُ المعروفَةُ، هل هاجَمَهُمُ الجرادُ وأكَلَ الأخضَرَ واليابِسَ كما يحصَلُ عادةً وتَرَكَهُم بِلا طعام؟

الأمّ: أجل؛ لقد مَحَقَ جميعَ ما يأكُلون. أكل الجراد مزروعاتهم، وقضت على نباتهم الذي زرعوه بعد القحط والطّوفان، وكانوا فرحين بزرعهم، واستبشروا، فأرسل الله عليهم هذه الآية الرّابعة، حيث سلّط عليهم أسراب الجراد، فأكلت مزروعاتهم[2].

جميل: هل القُمَّل هو القَمْل الذي يتواجَدُ اليومَ في رؤوسٍ بعضِ النّاس؟

الأمّ: بل هو السُّوسُ الذي يخرج من الحنطة، فأكل ما أبقاه الجرادُ الذي نجا منه، أي: إنّ اللّهَ سلّطَ عليهِمُ الآفاتِ الزّراعيّةَ فأكلتِ الزّروع واستأصَلَتْ كلَّ شَيءٍ أخضرَ، ونخرت الحبوب المتبقّية وقضت عليها.

سامي: وماذا فعلتِ الضّفادِعُ؟ أليست هي تلك المخلوقاتُ البرمائيّةُ التي تكثُرُ في البُرَكِ والمستنقعاتِ وتُصدِرُ نقيقاً عالِياً في اللّيالي المُقمرة؟

---

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص ٢٧.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص٢٧.

الأمّ: بلى؛ إنّها هي بالضَّبطِ.

سامي: وما يُمكِنُها أن تَفعل؟

الأمّ: الضّفادع: هذه آية جديدة أرسلها الله عليهم، تضاف إلى الآيات السّابقة، وهي ابتلاء من الله أوقعه بهم، ومصيبة ساقها إليهم.

وكيفيّة إرسال الضّفادع عليهم مبهمة، لم ترد تفاصيل لها، فلا نعرف كيف أرسلها الله عليهم، ولا مهمّتها فيهم.

ولم ترد كلمة ضفادع في غير هذا الموضع من القرآن(١).

سامي: بقي لدينا الدّمُ. فما معنى ذلك؟ هل أصابَهُمُ الرّعافُ بشكلٍ نزيفٍ فظلّوا ينزِفون حتّى ماتوا؟

الأمّ: الآية السّابعة وهي الدّم، لم يبيّن القرآن تفاصيل هذه الآية، فكلّ ما نعرفه أنّ الله ابتلاهم بالدم ليعتبروا، وجعله آية ليتّعظوا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٣].

ولا تخبرنا مصادرنا الإسلاميّة الوثيقة ـ المحصورة في الآيات الصّريحة والأحاديث النّبويّة الصّحيحة ـ عن تفاصيل هذه الآيات بينما فصّلت ذلك اليهوديّات وروايات العهد القديم الذي يؤمن به اليهود.

ولن نغادر البيان القرآنيّ عن هذه الآيات، ولا نطلب تبيينها في اليهوديّات وغيرها(٢).

أحمد: كلّ هذا ولم يؤمنوا بالله؟!

الأمّ: أجل؛ بل لقد كانوا يذهبون في كلِّ مرّةٍ إلى موسى ويرجونَه أن يدعوَ ربَّه ليخلِّصَهم منَ العذاب الذي أصابَهم، ويَعِدُونه الوعود الغليظةَ أن يؤمنوا بالله ويرسِلوا معه بني إسرائيل: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى

(١) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص ٢٨.

(٢) الخالديّ، صلاح، **القَصص القرآنيّ**، الجزء الثّالث، ص٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤ ـ ١٣٥].

بل إنّهم كانوا: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣١ ـ ١٣٢].

جميل: يا لَوقاحَتِهم! يهاجمونه باستمرار ويتّهمونه بالسّحر ثمّ يطلبون منه تخليصَهم!!

أحمد: وما معنى يطّيروا؟

الأمّ: «التطيّر» يعني التّشاؤم. وقد نهى الإسلامُ عنه.

سامي: كنت أظنُّ أنَّ هذه الكلمةَ مُشتقةٌ من «طَيْر».

الأمّ: هذا صحيح. كانت العرب قديماً، في الجاهليّةِ، إذا أرادوا الشُّروع بعملٍ أو إنشاءِ سفرٍ أو قتال، يساهِمون، كما حدث مع سيّدنا يونس عليه السلام أو يرسلون طائراً، فإنِ اتّجهَ يميناً يتفاءلون ويَستبشِرون خَيْراً ويُنجِزون ما يُريدون؛ أمّا إذا اتّجه يساراً فيتشاءمون ويتخلَّونَ عَنْ مشروعِهم.

كانوا أيضاً يتشاءمون مِن دخولِ شهر صفر. وقد قلت لكم إنّ الدِّينَ الحنيف نهى عن هذا العمل، فقال سيّدُنا محمّد ﷺ: «**لا طِيرَة، وخيرُها الفألُ الكلمةُ الصّالحةُ يَسمعُها أحدُكم**»(١). وقال أيضاً: «**لا عدوى ولا طِيرَة ويعجبُني الفألُ الصّالِحُ**»(٢).

الأب: لقد ذكر البخاريّ في صحيحه حديثاً آخر بهذا المعنى فقال:

---

(١) البخاريّ: (٥٧٥٤، ٥٧٥٥)، ورواه الإمام أحمد والبيهقيّ.

(٢) البخاريّ: (٥٧٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«**لا عدوى ولا طِيَرَةَ ولا هامةَ ولا صفر**»[1]. والهامة هي من خُرافاتِ الجاهليّةِ، اعتقادُهُم أنّ عظامَ القتيلِ تنقَلِبُ هامةً تطيرُ تطلب الثّأرَ له، وتسمّى أيضاً الصّدى. أمّا «صفر» فهو التّشاؤمُ مِن دُخولِ شهر صفر.

الأمّ: فلْنعُد إلى قِصّة سيّدِنا موسى مَعَ القوم الذين شاء الله إهلاكَهم عن بِكرة أبيهم. فبالرَّغم مِنَ العَذاب الذي كابَدَه آلُ فرعون إلّا أنّهم تَمَسَّكوا بموقِفِهِمُ المعانِدِ وظلُّوا يتّهمونه بالسّحر، ويقولون له مهما فعلت فلن نؤمِنَ لك. لقد أعلنوا عِصيانَهم على الإيمان وكراهيّتَهَم لموسى؛ فكان الانتقامُ المُتدرّجُ، فخسِروا أموالهم بسبَبِ الجراد والقُمّل، ومات منهم خلقٌ كثير جوعاً.

أحمد: سمعت أن هناك قوماً مسلمين يُجيزون أكلَ الجرادِ، فكيف يأكلونها وقد كانت من جنود الله؟

الأب: أنت على حقّ. لقدِ اتّفقَ المسلمون على جوازِ أكل الجرادِ، وذلك لأنّ لرسول الله حديثاً صحيحاً في ذلك، قال: «**أُحِلَّتْ لنا ميتتانِ: الحوتُ والجرادُ، ودمانِ: الكَبِدُ والطُّحالُ**»[2].

ولكنّهُمُ اختلفوا في هل يَجِبُ قتلُ الجرادِ إذا حلَّ بأرضٍ فأفسد؟

اِحتجَّ الأوّلون بأنّه خَلْق عظيمٌ مِن خلق اللّهِ يأكل مِن رِزق اللّهِ ولا يجري عليه القلَمُ، أي: لا تَبِعَةَ عليه...

واحتجّ الجُمهورُ[3] بأنّ في ترك الجرادِ فسادَ الأموال، وقد رخَّص النّبيُّ ﷺ بقتالِ المُسلم إذا أرادَ أخْذَ مالِهِ: فالجرادُ إذا أرادتْ فسادَ الأموال، كانت أوْلى أن يجوز قتلُها.

---

(١) البخاريّ: (٥٧٥٧).
(٢) ابن ماجه، الحاكم، والبيهقيّ.
(٣) الجمهور: جمهور الفقهاء، معظمهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامي: لم أعُد أحتمِل تأخُّرَ العِقاب عن آلِ فرعون. الآن يجبُ أن يُعاقَبوا.

الأمّ: المُؤمن يَجِبُ أن يتمتَّعَ بالصّبرِ والاستسلام لقضاءِ الله ولا يعترضُ مهما أصابَه. وهذا ما فعلَهُ موسى عليه السلام وكان يطلُبُه دَوْماً من قومه. والصّبرُ مِفتاح الفرَجِ كما يقولون.

عندما ابتلى الله تعالى فرعونَ وقومَه بالضّفادِع أقلقَتْهم بشكلٍ مريع، فزحفوا إلى موسى يطلُبون منه المُساعدةَ مقابِلَ أن يؤمنوا بربِّهِ ويسمحوا له بأخْذِ بني إسرائيل، فلمّا أزاح عنهُمُ الرِّجْزَ عادوا إلى سابِقِ عهْدهِم من النَّكث بالمواعيد.

في هذا الوقت أوْحى الله إلى نبيِّه وكليمِه موسى ليأمُرَ بني إسرائيل بالتّجهّز للرّحيل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧]. جهّز الإسرائيليّون أنفسهم وخرجوا مِن بيوتهم إلى شاطئ البَحْرِ ليلاً. فلمّا أصبحوا انتبه فرعون لفَعلتهم فاغتاظ «فغضب غضباً شديداً وأرسل في المدائن حاشِرين... ثمّ لمّا جمع جنده واستوثق له الأمْرُ ساق في طَلَبهم: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾، أي: عِند طُلوع الشَّمْس ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾، أي: نَظَر كلٌّ مِنَ الفريقينِ إلى الآخر: ﴿...قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ ووقف موسى ببني إسرائيل: البحر أمامهم وفرعون وراءهم، فعند ذلك أوحى الله إليه: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾، فضرَب البحرَ بعصاه وقال انفلِق عليّ بإذن الله فانْفَلَق فكان كل فِرْق كالطَّوْدِ العظيم...»[1].

عندما انفلَقَ البحرُ يَبِسَتِ الأرض بسُرعة فسار فيها موسى وقومُه، فتبِعَهم فرعون وجنودُه ـ جميع الكافرين مِنهم ـ كاد فرعون يَلْحق بموسى

(١) ابن كثير، التّفسير، ج٣، ص١٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عندما خَرج آخِرُ إسرائيليٍّ مِنَ البَحر، لكنّ الله أطبَقَ البحرَ على فِرعون وقومَه جميعاً فارتاحَتِ الأرضُ من شَرِّهم وكُفرهم، وهكذا كانت نهايةُ كلِّ متكبّرٍ جبّارٍ لا يُؤمِنُ بالله ولا يتّبعُ رُسُلَه.

اِبتسم الأولادُ وتمطَّوا بشكلٍ قويٍّ فقد كانت أعصابُهم مشدودةً وارتاحوا الآنَ. وحمَدوا الله على ما أنعَم عليهم وعلى والديهم، وعلى تخليصِهِ لقومِ موسى مِن عبوديّةِ فرعون. فقد تخلَّص بنو إسرائيلَ مِن ظُلمِ فرعونَ ووجدوا أنفُسَهم فجأة وقد نالوا حرِّيَّتهم، وذلك بفضلِ صَبرِهمُ الذي طالما تمسَّكوا به ـ مُرغَمين ـ فلم يكُنْ بإمكانِهم فِعلُ شيءٍ ضدّ الحاكِمِ الظّالمِ الذي يدّعي الألوهيّة، الذي قال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، لقد تخلّصوا أخيراً من العبوديَّةِ الزّائِفَةِ للطّاغوتِ المُغتصِب.

الأب: أجلْ؛ ولكنّكم سترَون ـ فيما بعد ـ كيف أنّ آثار هذه العبوديَّةِ ما تزالُ موجودةً في طباعِهم، فالحُرُّ لا يكذِب وهم كاذبون، والحرّ لا يخدّع وهم مَعدِن الخداع، والحرّ لا ينقُضُ العُهود بينما تاريخُهم يزخَرُ بنقضِهم لعهودِهم ومواثيقهم؛ والعبدُ بطبيعتِهِ يكرَهُ الأحرارَ وهم يكرَهونَ جميعَ النّاسِ ويُحاوِلون إذلالَهم وإخضاعَهم لِسَيْطَرَتِهم بشتّى الوسائِلِ.

سامي: هل كانوا يعبُدون فرعون فيُصَلّون له ويصومونَ كما نفعلُ نحن في عبادِتنا لله؟

الأمّ: لا هم كانوا يَعبُدونَه بمعنى أنّهم يُطيعونه في ما يريده بهم، لا يَعصُون له أمراً ولا ينقضونَ له شرعاً... فأيُّما أناسٌ تلقَّوا التّشريعَ مِن بَشَرٍ وأطاعوه فقد عَبَدوه، وذلك مِن تفسيرِ رسول الله ﷺ لقوله تعالى عن اليهود والنّصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

عندما سمِعَها منه عَدِيُّ بنُ حاتِم ـ وكان نَصرانيّاً جاء ليُسْلمَ ـ فقال: يا رسولَ الله ما عبدوهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له رسول الله ﷺ: «**بلى إنّهم أحلّوا لهم الحرامَ وحرّموا عليهم الحلالَ؛ فاتّبعوهم، فذلك عبادتُهم إيّاهُم**»(١).

جميل: يا لَهذا الفرعونِ العنيدِ! كلّ هذه الآيات ولم يؤمن؟ هل يريد برهاناً أعظم من فلق البحر وتصييرِ أرضِه يابِسَةً يمشي عليها هو وجنودُه ليؤمِنَ بالله تعالى؟

الأمّ: معك حقّ. لقد خطرَتْ هذه الفكرة ببالِهِ وأراد أن يُؤمن، ربّما كانت إرادتَهُ هذه مثل سابقاتِها، بمعنى أنّه يدَّعي الإيمانَ ليتخلَّصَ مِن عذابِ الله فإذا ذهب عنه الخَطرُ عاد إلى سابق طبيعتِهِ، وربّما كانت إرادةً صادقةً ولكن ـ سَبَق السَّيْفُ العَذْلَ ـ فلم يقبَلِ الله توبَتَهُ: ﴿...فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩١].

لم يقبلِ الله توبَةَ فرعونَ لأنّها توبةُ المُضْطَرِّ، وليست توبةَ النّادِمِ، أمّا التّوبةُ التي يقبَلُها تعالى، والّتي تَفَضَّلَ فَكَتَبَ على نفسِهِ قَبولَها هي التي تصدُر مِنَ النّفسِ حالَ حياةِ الإنسانِ وليسَ عند موتِهِ، عندما يرى مكانَهُ في النّارِ، فَتَدلّ على أنّ هذه النّفسُ قدْ أُنشِئَت نَشْأةً أخرى، قد هزّها النّدمُ مِنَ الأعماقِ، ورَجَّها رجّاً شديداً حتّى استفاقت رغبة حقيقيّة في التّطهّر، ونيّةٌ صادِقَةٌ في سُلوك نَهْجٍ جديدٍ، وتعديلٍ أساسيٍّ في الشّخصيّةِ والكينونة والوجهةِ والطّريقِ...

استغفر الأولاد ربّهم وأعلنوا توبتهم من ذنوبهم التي اقترفوها عن جهل أو عن طريق الخطأ. وكذلك الأبوان والجدّان، ثمّ نهضوا جميعاً لمتابعة أعمال يومهم.

* * * * * *

(١) أخرجه التّرمذيّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٩
تمهيد	١٣
الصّفّ العاشر (الجزء الخامس) وهي مرحلة انتقاليّة عمر الطّالب ما بين ١٥ ـ ١٦ عاماً	١٧
تعريف بالكتاب	١٩
يتناول الكتاب	١٩
الأهداف من تأليف هذا الكتاب	٢٠
الغاية من تأليف هذا الكتاب	٢٠
أسلوب الكتاب	٢٢
أسباب اعتماد القصّة كأسلوب تعليميّ تربويّ هادف	٢٢
أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت	٢٤
يحتوي (الجزء الخامس) على الإيمانيّات والقيم التّالية لكلِّ قصّة	٢٥
قصة رقم ١٨ نبي الله موسى عليه السلام نشأته وشبابه	٢٥
قصة رقم ١٩ موسى عليه السلام يكلّف بالرّسالة	٢٧
قصّة رقم ٢٠ موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون	٣٠
قصة رقم ٢١ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر	٣٢
قصة رقم ١٨ : نبيُّ الله موسى عليه السلام : نشأته وشبابه	٣٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموضوع	الصفحة
نبيُّ الله موسى عليه السلام: نشأته وشبابه	٣٧
قصة رقم ١٩: موسى عليه السلام يكلّف بالرّسالة	٦٧
موسى عليه السلام يُكلَّف بالرّسالة	٦٩
قصة رقم ٢٠: موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون	١٠٧
موسى عليه السلام ومواجهته لفرعون	١٠٩
قصة رقم ٢١: موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر	١٣٩
موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر	١٤١
الفهرس	١٦٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في